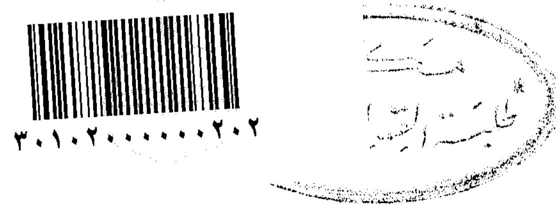


جامعة الملك عبد العزيز
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
فرع العقيدة

أثر العقيدة في الفرد والمجتمع

رسالة ماجستير

إعداد الطالبة
سميرة محمد عمر حجوم

إشراف
الدكتور محيي الدين الصافي



١٤٠٠ هـ — ١٤٠١ هـ
١٩٨٠ م — ١٩٨١ م

المقدّمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى علمنا مالم نكن نعلم وأنعم علينا بدين الاسلام وأوجب علينا أن نؤمن به وأن نبلغه للناس لأنه صراط العزيز الحميد ، وأوجب علينا أن ندافع عنه برد الشبهات والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذى اختصه الله تعالى بتبليغ رسالة الاسلام الى الناس كافة ليخرجهم بها من الظلمات الى النور ، فبلغ رسالة ربه وجاهد في سبيل نشر عقائد الاسلام والقضاء على خرافات الجاهلية جهادا لايلين ، حتى التف حوله عصبة مؤمنة مجاهدة حملوا من بعده لواء الدعوة الى عقائد الاسلام حتى أوصلوها الى أقاصي الأرض مستهينين بكل الصعاب ، متخطين لكل العقبات التي وقفت في طريقهم ، لا ينظرون الى زخرف هذه الدنيا وبهجتها ، بل كان همهم تحقيق قول امامهم وزعيمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم " لان يهدى بك الله رجلا واحدا خير لك من الدنيا ومافيها" ولذلك دانت لهم الدنيا وفتحوا البلاد الكثيرة وفتحوا معها قلوب مظلمة استنارت بالاسلام واهتدت به .

وقد تعجب المؤرخون الأجانب ولا يزالون يتعجبون من قصر الفترة الزمنية التي تمت فيها هذه الفتوحات ولا يزالون يتخبطون في محاولة العثور على أسباب هذا النصر الحام والفتح المبين ولكن غاب عنهم أن القائمين بهذه الفتوحات انما حملهم على هذه التضحية بالنفس والمال والجهاد المستمر الذى لا يضعف ولا يلين هو عقيدتهم الراسخة وايمانهم القوى بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدر على ماقرره القرآن الكريم .

فلا شك أن هذا الانتصار الحاسم الذى أزالوا به ملك أقوى دولتين كانتا موجودتين في ذلك الزمان وهما دولتا الفرس والروم وجيوشهما كانت تفوقهم عددا وعده انما كان مبعثه تأثير العقيدة الاسلامية في نفوسهم ، فكان شعارهم الذى وضعوه نصب أعينهم أما النصر والفتح ليدخل الناس في هذا الدين وأما الشهادة والمصير الى جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين .

عرف الكافرون والمشركون من الأمم المستعمرة هذه الحقيقة فحاولوا محاربة الاسلام عن طريق زلزلة العقيدة في نفوس أبنائه باذاعة الشبهات والقاء المفتريات في المجتمعات الاسلامية عن الاسلام وكتابه ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، وقد نجحوا في ذلك الى حد كبير بعد أن عجزوا عن مجابهة عقائد الاسلام في ميادين القتال .

وقد وضعوا لذلك مخططات كثيرة تكشفت في سنوات مابعد الحرب العالمية الثانية ، ومن أخطرها تلك المخططات الاستعمارية الصهيونية السرية التي تهدف الى تدمير المجتمعات الانسانية وخاصة المجتمع الاسلامي عن طريق هدم الدين الاسلامي في نفوس أبنائه باشاعة النظريات الالحادية والمادية والوثنية والقاء الأباطيل والأكاذيب عن القرآن الكريم والرسول صلى الله عليه وسلم .

ولقد جرى تنفيذ هذه المخططات منذ وقت بعيد وشاركت فيه القوى الاستعمارية والصهيونية والشيوعية واتخذت من التبشير ومعاهد الارساليات ومحافل الماسونية أداة لها وانبث خريجوا هذه المعاهد

والمحافل فسيطروا على بعض وسائل الاعلام كالصحافة ودور الثقافة والمدارس ، واتخذوا منها أداة لتغيير فكر هذه الأمة وتزييف مضامينه بطرح كثير من الشبهات أمام المثقفين مستهدفين تدمير الدين وقيمه وأخلاقه ومثله العليا .

ولما كان الاسلام أعز نعمة وأغلى ثروة منّ الله تعالى بها علينا فوجب علينا أن نحافظ عليها وأن نصونها بالدفاع عنها بالتصدى لهؤلاء الضالين المفسدين وتضنيد شبههم والرد عليها ، ثم بالدعوة لهذا الدين ونشره بين العالمين تأسيا برسولنا الكريم الذى قال له ربه في كتابه الكريم أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين) (١)

ومشاركة مني في القيام بهذا الواجب في الدفاع عن دينا الحنيف أمام شبهات الملحدين والكافرين اخترت أن يكون بحثي لنيل درجة الماجستير من كلية الشريعة والدراسات الاسلامية في العقيدة الاسلامية وجعلت عنوانه " العقيدة وأثرها في الفرد والمجتمع " .

ورتبته على مقدمة وخمسة فصول وخاتمة .

أما المقدمة فقد ذكرت فيها الدوافع التي دفعتني الى الكتابة في هذا الموضوع .

وأما الفصل الأول فقد جعلت عنوانه : " مقومات العقيدة الاسلامية"

وقد بينت في الجزء الأول من هذا الفصل مقومات العقيدة الاسلامية والأسس التي تقوم عليها وأوضحت أنها تقوم على الايمان بالله وملائكته وكتبه

---

(١) سورة النحل آية (١٢٥)

ورسله واليوم الآخر والايمان بالقضاء والقدر خيره وشره حلوه ومره من الله ، وضربت لذلك عدة أمثلة من القرآن الكريم ، والحديث النبوى الشريف ، ثم بينت الأدلة العقلية والنقلية التي انبنى عليها الايمان بكل عقيدة من هذه العقائد ثم بينت أثر الايمان بكل عقيدة من هذه العقائد على حياة الفرد وحياة المجتمع .

أما الفصل الثاني: فقد بينت فيه خصائص العقيدة الاسلامية ، وذكرت أن الخاصية الأولى : هي الربانية والثانية هي الثبات والثالثة : هي الشمول والرابعة : هي التوازن والخامسة : هي الايجابية والسادسة : هي الواقعية ، وشرحت كل خاصية من هذه الخصائص شرحا يوضحها ويجليها للقارئ وقصدت من التعبير بالواقعة ، التحقيق في عالم الواقع يعني أن متعلق هذه العقائد حقائق موضوعية ذات وجود حقيقي لا تصورات عقلية مجردة أو مثاليات لا توجد الا في داخل العقل الانساني كما يدعي ذلك بعض أصحاب الفلسفات الباطلة .

أما الفصل الثالث : فقد جعلت عنوانه أثر العقيدة في الفرد والمجتمع " .

وتكلمت فيه أولا عن أثر العقيدة في حياة الفرد المسلم وبينت أن أبرز آثار العقيدة في حياة المسلم هي تحريره من العبودية لغير الله تعالى لتزيل عنه عقدة الخوف من غير الله والخضوع لسواه ثم لتغرس في نفسه أن الناس سواسية أمام الله سبحانه وتعالى فلا تفاضل بينهم الا بالتقوى ، ومن أبرز آثارها شعور النفس بالثقة والسكينة والطمأنينة لاننا لا نجد قلبا خاليا من العقيدة الحقة الصحيحة الا ويجتاحه القلق والاضطراب ويستبد

به الشقاء .

ومن آثارها أيضا الاحصاص الدائم بمراقبة الله تعالى والاعتقاد الجازم بأن الله هو الرزاق ذو القوة المتين ، فلا يطلب المسلم الرزق من غير حله ولا يتهافت ولا يذل لغير الله تعالى ، ومن آثار العقيدة أيضا في حياة المسلم أنها تبعث في نفسه روح الشجاعة والاقدام على الجهاد ورغبة الاستشهاد في سبيل الله ، وهذا يجعل المجتمع المسلم يعيش في عزة ومنعة ثم تكلمت عن أثر العقيدة في حياة المجتمع وبينت أن المجتمع الذى تسود بين أفراده عقيدة التوحيد بنقائها وصفائها مجتمع خير يسود فيه الأمان والاطمئنان والسلام والرقي ، بعكس المجتمعات التي تسود فيها العقائد الوثنية والجاهلية فانها مجتمعات تسود فيها حياة القلق والحيرة والشقاء وضربت أمثلة لذلك من الواقع ومن التاريخ .

أما الفصل الرابع : فقد جعلت عنوانه " عوامل زعزعة العقيدة في نفوس الشباب " .

وتكلمت فيه عن الشبهات التي يثيرها المستشرقون ويعملون على نشرها في المجتمعات الاسلامية لتزعزع العقيدة وتضعفها في نفوس الشباب المسلم وقد اخترت من هذه الشبهات ماله تأثير في بلبلة أفكار الشباب واضعاف العقيدة في نفوسهم ، فذكرت الشبهة ومايتوهم المغرضون أنه دليل عليها ورددت عليها بما يبطلها ، وأول هذه الشبهات التي يثيرها المستشرقون مسألة الوحي للرسول صلى الله عليه وسلم أو هو نوع من الماليخوليا ، أو قالوا أنه ينبع من نفس النبي ولا يأتيه من الخارج أو قالوا انه كان يأخذ مايأتي به من أمور الدين من بحيرى الراهب أو من ورقة

ابن نوفل الذى كان يعرف اليهودية والنصرانية ويعرف اللغة العبرية
وقد أقمت الأدلة على بطلان هذه الشبهة ومن أبرز هذه الأدلة أن محمدا
صلى الله عليه وسلم وهو الأمي جاء بالقرآن الكريم وتحدى العرب أن يأتوا
بمثله أو بمثل عشرة سور منه أو بمثل سورة واحدة منه فعجزوا وهم أرباب
الفصاحة والبلاغة فهذا دليل على أن القرآن من عند الله تعالى وليس من
صنع البشر ، وبينت أن محمدا يوحى اليه من الله تعالى ولا يأخذ من أحد
من البشر .

(ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) (١)

<u>الشبهة الثانية</u> : هي التي أطلقها كارل ماركس اليهودى الصهيوني
وهي قوله :الدين أفيون الشعوب " وقد كان غرضه من ذلك هدم جميع
الأديان وخاصة الدين الاسلامي ليبقى الدين اليهودى أخيرا هو
المسيطر على العالم وقد رددت على هذه الشبهة بما يدحضها ويبطلها .

<u>الشبهة الثالثة</u> : وقد كان لها دوى كبير في العالم حين ظهورها وهي
نظرية النشوء والارتقاء أو نظرية التطور لداروين وقد صدرت أيضا عن يهودى
صهيوني غرضه هدم العقيدة الدينية بانكار وجود الله تعالى واشاعة الالحاد
والانحلال في كل المجتمعات ، وقد قرر في هذه النظرية أن الانسان
قد تطور عن القردة العليا " الشمبانزى " وأنكر الخلق وقال بالصدفة ،
وقد رددت على هذه النظرية بما يبطلها .

---

١) سورة النساء آية (٨٢) .

الشبهة الرابعة : هي محاولة بث الاتجاه المادى في حياة المسلمين ليصدوهم عن الاتجاه الروحي ويجعلوهم كالأنعام لا هم لهم الا اشباع غرائزهم وشهواتهم ويهملوا العقيدة الدينية ليسهل على المستعمرين قيادهم وقد حذرت من انسياق المسلمين وراء هذا الاتجاه وبينت مضاره .

أما الفصل الخامس والأخير : فقد جعلت عنوانه وسائل تثبيت العقيدة في نفوس الشباب " .

وتحدثت فيه عن التربية والقدوة الحسنة كوسيلة من وسائل تثبيت العقيدة وبينت أن خير منهج للتربية الصالحة هو منهج القرآن الكريم لأنه استطاع أن ينقل العرب من طباعهم القاسية الجافة وجهلهم المطبق الذى كانوا عليه في الجاهلية الى تخلقهم بأخلاق القرآن الفاضلة من الصدق والوفاء ولين الجانب ومحبة العلم والحرص على التزود منه ، لقد نقلهم القرآن بمنهجه من السفح الى القمة وهذا اعجاز لا تقدر عليه مناهج البشر ، ثم تحدثت عن أثر القدوة الصالحة في تثبيت العقيدة وضربت الأمثلة الكثيرة برسول الله صلى الله عليه وسلم لأننا مأمورون بالاقتداء به ثم ضربت الأمثلة بالصحابة رضي الله عنهم .

ثم تحدثت في الجزء الثاني من هذا الفصل عن عدم التعارض بين الدين الاسلامي والعلم الحديث في الطبيعة والفلك والرياضيات والطب وبينت أن الاسلام يحث على طلب العلم أينما كان وقد وردت في القرآن الكريم آيات كثيرة تتحدث عن قضايا علمية قبل أن يتوصل اليها العلم الحديث وبينت أن الذى يعارضه انما هي الأديان الباطلة المحرفة كاليهودية

والنصرانيــة .

ثم بينت أن العلوم الطبيعية في كثير من أبحاثها ونظرياتهــــا توءيد ماجاء به الدين الاسلامي وفي هذا دليل على أن هذا الدين مــن عند الله تعالى وليس من صنع أحد من البشر .

ثم تحدثت في الجزء الثالث من هذا الفصل عن التطبيق الكامـــل لجميع أحكام الشريعة في كل شئون الحياة وعن أثر هذا التطبيق فــــي تثبيت العقيدة ، لأن تطبيق البعض وترك البعض يضر بالمجتمع ويترك صورة مشوهة عن الاسلام في نفوس الناس بما يضعف العقيدة عندهـــم ولذلك أكدت على تطبيق أحكام الدين في جميع شئون الحياة .

أما في الخاتمة فقد تحدثت عن أهم النتائج التي استخلصتهــا من هذا البحث .

وفي النهاية أتقدم بجزيل الشكر لكل من ساهم معي في اخــراج هذا البحث ، وأخص بالشكر أستاذى ومعلمي الدكتور محيى الديــن الصافي الذى أشرف على بحثي هذا ، ومنحنى من توجيهاته وارشاداته ما أعانني على تذليل كل عقبة اعترضت طريق اخراج هذا البحث الــى حيز الوجود .

وكذلك أتقدم بالشكر الى عضوى لجنة المناقشة الاستاذ الدكتـور عبد العزيز عبيد الذى استفدت من فكره وتدريسه كثيرا وكذلك الاستاذ الدكتور عثمان عبد المنعم يوسف الذى استفدت من فكره وتدريســـه كثيرا .

وكذلك أتقدم بجزيل الشكر الى مدير جامعة الملك عبد العزيز والى كلية الشريعة والدراسات الاسلامية بمكة المكرمة وعميدها والى أعضاء هيئة التدريس بها لأنني استفدت منهم كثيرا وأخيرا أرجو أن أكون قد وفقت الى ماقصدت اليه في هذا البحث من خدمة للاسلام والمسلمين وأرجو من الله تعالى أن يتقبل مني هذا العمل خالصا لوجهه وأن ينفع به المسلمين .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

سميرة محمد عمر جمجوم

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

الفصل الأول

مقومات العقيدة

تمهيـد :

الاسلام هو الدين الذى ارتضاه الله للناس كافة بقوله سبحانه :

" اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا " (١) . ولن يقبل الله من الناس دينا سواه . قال تعالى :

" ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين " (٢)

وقد أوحى الله سبحانه بالاسلام الى نبيه محمد - صلى الله عليه وسلم - وكلفه بتبليغه الى الناس كافة ودعوتهم اليه " يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته " (٣)

" قل يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعا " (٤)

وقد تلقى الرسول الكريم عن ربه القرآن فبلغه كما تلقاه ، وبين بأمر الله وارشاده مجمله ، وطبق بالعمل نصوصه ، ثم تلقاه عنه الناس جيلا بعد جيل حتى وصل الينا كما نزل متواترا لا ريب فيه : " ذلك الكتاب لا ريب فيه " (٥)

" انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون " (٦)

---

١) سورة المائدة آية (٣٢)
٢) سورة آل عمران آية (٨٥)
٣) سورة المائدة آية (٦٧)
٤) سورة الأعراف آية (١٥٨)
٥) سورة البقرة آية (٢)
٦) سورة الحجر آية (٩)

والاسلام هو دين الفطرة الذى تهتدى اليه النفس بطبيعتها باعتباره الدين القيم المعتدل . يقول تعالى :

" فأقم وجهك للدين حنيفا ، فطرة الله التي فطر الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون " (١)

والاسلام - باعتباره دين الفطرة - يتفق وطبيعة التكوين البشرى من روح وجسد ، فجاء كعقيدة وشريعة موفقا بين المتطلبات الروحية والمادية للانسان على السواء ، وفي استواء . وعلى هذا يقوم مفهوم العبادة في الاسلام .

يقول محمد أسد في كتابه " الاسلام على مفترق الطرق " :

(ان العبادة في الاسلام ليست محصورة في أعمال من الخشوع الخالص كالصلاة والصيام مثلا ، ولكنها تتناول كل حياة الانسان العملية أيضا ، واذا كانت الغاية من حياتنا هي عبادة الله فيلزمنا أن تأتي أعمالنا كلها على أنها عبادات) (٢) .

وعلى هذا فالاسلام لا يعرف تبتلا ولا رهبانية ، يقول تعالى :

" يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا" (٣)

---

١) سورة الروم آية (٣٠)

٢) الاسلام على مفترق الطرق . ترجمة عمر فروخ ص ٢٣

٣) سورة المائدة آية (٨٧)

" قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق ، قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خاصلة يوم القيامة"(١)

واستنادا الى نصوص القرآن الكريم عرف أن الاسلام له شعبتان أساسيتان هما : العقيدة والشريعة .

وقد عبر القرآن عن العقيدة بالايمان ، وعن الشريعة بالعمل الصالح .
وجاء ذلك في كثير من آياته الصريحة منها قوله تعالى : " ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا ، خالدين فيها لا يبغون عنها حولا " (٢) .

وقوله تعالى : " من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو موءمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ماكانوا يعملون " (٣)

---

١) سورة الأعراف آية (٣٢)
٢) سورة الكهف آية (١٠٧ - ١٠٨)
٣) سورة النحل آية (٩٧)

تعريف العقيدة :

١ - في اللغــة :

أعتقد بمعنى اقتنى ، يقال : اعتقد ضيعه أو مالا ، أى اقتناها . وعقد قلبه على الشيء : لزمه ، والخيل معقود بنواصيها الخير : أى ملازم لها ، كأنه معقود فيها .

قال تعالى : " والذين عقدت أيمانكم " : أى أكدت ووثقـت فالعقيدة ما انعقد عليه القلب واستمسك به ، وتعذر تحويله عنه ، لا فرق في ذلك بين ماكان راجعا الى تقليد أو وهم ، وماكان راجعا الــى دليل عقلي . (١)

وفي كتاب " محيط المحيط " :

اعتقد بالشيء : صدقه ، وعقد عليه قلبه وضميره وتدين به .

والعقيدة : ماعقد عليه القلب والضمير ، وماتدين الانسان به . ولــه عقيدة حسنة : أى سالمة من الشك ، وجمعها عقائد . (٢)

---

١) لسان العرب للامام العلام ابن منظور ص ٢٩٨ - ٢٩٩ المجلـد الثالث - دار الفكر بيروت .

٢) محيط المحيط - قاموس مطول للغة العربية - المعلم بطـــرس البستاني - مكتبة لبنان .

في الاصطلاح :

تعريف العقيدة في الاصطلاح : الحكم الجازم الذى يعقد الانسان قلبه عليه بغير تردد أو شك فيخرج منه الوهم والشك والظن .

ويقول الشهرستاني :

" الأصول معرفة البارى تعالى بوحدانيته وصفاته ومعرفة الرسل بآياتهم وبيناتهم وبالجملة كل مسألة يتعين الحق فيها بين المتخاصمين فهي من الأصول . (١)

ويقول ابن تيميه : ان العقائد هي الامور التي تصدق بها النفوس وتطمئن اليها القلوب وتكون يقينا عند اصحابها لا يمازجها ريب ولا يخالطها شك . (٢)

---

١) الملل والنحل للشهرستاني جـ ١ ص ٤١ تحقيق محمد كيلاني

٢) مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيميه ص (٢٩).

مقومات العقيدة :

لقد أجمل القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة مقومات العقيدة والايمان في معان جلية واضحة . ففي القرآن الكريم قوله تعالى : " آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون . كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، لا نفرق بين أحد من رسله ، وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير " (١)

وقوله سبحانه : " يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذى نزّل على رسوله ، والكتاب الذى أنزل من قبل ، ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا " (٢)

وقوله تعالى : " ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين " (٣)

وفي السنة النبوية يقول عليه الصلاة والسلام ردا على جبريل عليه السلام حين جاءه بصورة أعرابي يسأله عن الاسلام والايمان والاحسان .. يقول صلى الله عليه وسلم عن الايمان : (أن تؤمن بالله وملائكته ورسله وكتبه واليوم الآخر والقدر خيره وشره) (٤) ..

فهذه الأمور الستة هي مقومات الايمان ، وهي الأصول التي

---

١) سورة البقرة آية (٢٨٥)

٢) سورة النساء آية (١٣٦)

٣) سورة البقرة آية (١٧٧)

٤) رواه ابن ماجه جـ ١ ص ٢٤ .

بعث بها الرسل عليهم السلام ، ونزلت بها الكتب السماوية ، ولا يتم ايمان أحد الا بها جميعا ، ومن جحد شيئا منها خرج عن دائرة الايمان .

ولنأخذ في توضيح كل واحد من هذه المقومات فيما يلي :

أولا - الايمان بالله سبحانه :

(والايمان بالله في الاسلام قاعدة التصور ، وقاعدة المنهج الذى يحكم الحياة ، وقاعدة الخلق ، وقاعدة الاقتصاد ، وقاعدة كل حركة يتحركها المؤمن هنا أو هناك ، الايمان بالله معناه افراده - سبحانه - بالألوهية والربوبية والعبادة . ومن ثم افراده بالسيادة على ضمير الانسان وسلوكه في كل أمر من أمور الحياة .

ليس هناك شركاء - اذن - في الألوهية أو الربوبية ، فلا شريك له في الخلق ولا شريك له في تصريف الأمور . ولا يتدخل في تصريفه للكون والحياة أحد . ولا يرزق الناس معه أحد ، ولا يضر أو ينفع غيره أحد . ولا يتم شيء في هذا الوجود صغيرا كان أو كبيرا الا ما يأذن به ويرضاه .) (١)

واليك الأدلة العقلية والنقلية عن الحقائق التي يجب الايمان بها :

أ - عن وجوده تعالى :

---

١) في ظلال القرآن ج ٣ ص ٥٠٠ - ٥٠١ .

الأدلة النقلية :

١ - اخباره عز وجل عن وجوده وعن ربوبيته وألوهيته للخلق ، وعن أسمائه وصفاته .. يقول تعالى : " قل هو الله أحد الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد " (١)

" قل أغير الله أتخذ وليا فاطر السماوات والأرض ، وهو يطعم ولا يطعم ، قل اني أمرت أن أكون أول من أسلم ولا تكونن من المشركين " (٢) ..

" قل أغير الله أبغى ربا وهو رب كل شيء " (٣) ..

ان ربكم الله الذى خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا ، والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ، ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين " (٤) ... " هو الله الذى لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم . هو الله الذى لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر ، سبحان الله عما يشركون ، هو الله الخالق البارئ المصور له

---

١) سورة الاخلاص آية (١ - ٤)

٢) سورة الأنعام آية (١٤)

٣) سورة الأنعام آية (١٦٤)

٤) سورة الأعراف آية (٥٤)

الأسماء الحسنى يسبح له مافي السماوات والأرض وهو العزيــــز الحكيم " "١"

" وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين انما هو اله واحـــــد فاياى فارهبون " (٢)

٢ - اخبار الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام بوجود الله سبحانــه وبأنه لا اله غيره . فكل رسول كان يقول لقومه :

" ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره " (٣)

ويقول عز وجل : " ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت " (٤)

---

١) سورة الحشر آية (٢٢ - ٢٤)
٢) سورة النحل آية (٥١)
٣) سورة هود آية (٦١)
٤) سورة النحل آية (٣٦)

الأدلة العقلية :

١ - وجود هذا الكون ومافيه من مخلوقات كثيرة متنوعة تدل دلالة واضحة على وجود الله عز وجل لأنه يستحيل أن يكون هذا الكون ومافيه قد وجد بدون خالق : " الحمد لله الذى خلق السماوات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون ، هو الذى خلقكم من طين ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده ثم أنتم تمترون ، وهو الله في السماوات وفي الأرض يعلم سركم وجهركم ويعلم ماتكسبون " (١)

٢ - ان هذا النظام الدقيق البديع في الكون دليل جازم على وجود الله وعظمته وقدرته وعلى الوهيته عز وجل ، اذ يستحيل في نظر العقل صدور الكون - بنظامه المتناسق البديع - عن نفسه أو عن قوى متعارضة أو متوافقة .. ويوجب الاعتراف العقلي والقلبي بأنه لابد من خالق مريد :

" ان في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجرى في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون " (٢) .

---

١) سورة الأنعام آية (١ - ٣) .

٢) سورة البقرة آية (١٦٤)

يقول صاحب " الظلال " في تفسيره لهذه الآية :

(تلك السماوات والأرض .. هذه الأبعاد الهائلة ، والاجرام الضخمة والعوالم المجهولة .. هذا التناسق في مواقعها وجريانها في ذلك الفضاء الهائل الذى يدير الرؤوس .. هذه الأسرار التي تو للنفس وتلتف في رداء المجهول .. هذه السماوات والأرض حتى دون أن يعرف الانسان شيئا عن حقيقة أبعادها ، وأحجامها وأسرارها التي يكشف الله للبشر عن بعضها حينما تنمو مداركهم وتسعفهم أبحاث العلوم ..

واختلاف الليل والنهار .. تعاقب النور والظلام .. توالي الاشراق والعتمة ذلك الفجر وذلك الغروب .. كم اهتدت لها مشاعر ، وكم وجفت لها قلوب ، وكم كانت أعجوبة الأعاجيب .. ثم فقد الانسان وهلتها وروعتها مع التكرار الا القلب المؤمن الذى تتجدد في حسه هذه المشاهد ، ويظل أبدا يذكر يد الله فيها فيتلقاها في كل مرة بروعة الخلق الجديد .

والفلك التي تجرى في البحر بما ينفع الناس .. وأشهد ما أحسست مافي هذه اللفتة من عمق قدر ما أحسست ونقطة صغيرة في خضم المحيط تحملنا وتجرى بنا . والموج المتلاطم والزرقة المطلقة من حولنا . والفلك سابحة متناثرة هنا وهناك . ولا شيء الا قدرة الله ، والا رعاية الله ، والا قانون الكون الذى جعله الله يحمل تلك النقطة الصغيرة على ثبج الأمواج وخضمها الرعيب :

وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها ، وبث فيها من كل دابة ، وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض .. وكلها مشاهد لو أعاد الانسان تأملها - كما يوحي القرآن للقلب المؤمن - بعين مفتوحة وقلب واع . لارتجف كيانه من عظمة القدرة ورحمتها .. تلك الحياة التي تنبعث من الأرض حينما يجودها الماء .. هذه الحياة المجهولة الكنه ، اللطيفة الجوهر ، التي تدب في لطف ، ثم تتبدى جاهرة معلنة قوية .. هذه الحياة من أين جاءت ؟ كانت كامنة في الحبة والنواة : ولكن من أين جاءت الى الحبة والنواة ؟ أصلها ؟ مصدرها الأول ؟ انه لا يجدى الهرب من مواجهة هذا السؤال الذى يلح على الفطرة .. لقد حاول الملحدون تجاهل هذا السؤال الذى لا جواب عليه الا وجود خالق قادر على اعطاء الحياة للموات ، وحاولوا طويلا أن يوهموا الناس أنهم في طريقهم الى انشاء الحياة - بلا حاجة الى اله - ثم أخيرا اذاهم في أرض الالحاد الجاحد الكافر ينتهون الى نقض أيديهم والاقرار بما يكرهون : استحالة خلق الحياة : وأعلم علماء روسيا الكافرة في موضوع الحياة هو الذى يقول هذا الآن : ومن قبل راوغ دارون صاحب نظرية النشوء والارتقاء من مواجهة هذا السؤال : (١)

(ثم تلك الرياح المتحولة من وجهة الى وجهة ، وذلك السحاب المحمول على هواء ، المسخر بين السماء والأرض ، الخاضع للقانون الذى

---

١) في ظلال القرآن ج ٢ ص ٢١٥ لسيد قطب رحمه الله

أودعه الخالق هذا الوجود .. انه لا يكفي أن تقول نظرية ماتقوله عن أسباب هبوب الريح ، وعن طريقة تكون السحاب .. ان السر الأعمق هو سر هذه الأسباب .. سر خلقه الكون بهذه الطبيعة وبهذه النسب وبهذه الأوضاع التي تسمح بنشأة الحياة ونموها وتوفير الأسباب الملائمة لها من رياح وسحاب ومطر وتربة .. سر هذه الموافقات التي يعد المعروف منها بالالاف ، والتي لو اختلت واحدة منها ما نشأت الحياة أو ماسارت هذه السيرة .. سر التدبير الدقيق الذى يشي بالقصد والاختيار ، كما يشي بوحده التظميم ورحمة التدبير .. (١)

" ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون " .

٣ - وجود كلام الله المعجز وهو القرآن دليل على وجود الله - سبحانه - لأنه يستحيل كلام بدون متكلم .

" وماكان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ، ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل الكتاب لاريب فيه من رب العالمين ، أم يقولون افتراه ؟ قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين "(٢)

فالقرآن - كلام الله - يحمل بين دفتيه من النصوص والآيات مايدل دلالة واضحة قاطعة على أنه من عند الله سبحانه -

---

١) في ظلال القرآن ج ٣ ص ٢١٥-٢١٦

٢) سورة يونس آية (٣٧-٣٨) .

(فهو بخصائصه الموضوعية والتعميرية ، بهذا الكمال في تناسقه وبهذا الكمال في العقيدة التي جاء بها وفي النظام الانساني الذى يتضمن قواعده ، وبهذا الكمال في تصوير حقيقة الألوهية ، وفي تصوير طبيعة البشر ، وطبيعة الحياة ، وطبيعة الكون .. لا يمكن أن يكون مفترى من دون الله ، لأن قدرة واحدة هي التي تملك الاتيان به هي قدرة الله) (١)

(الذين يدركون بلاغة هذه اللغة ، ويتذوقون الجمال الفني والمتناسق فيها يدركون أن هذا النسق من القول لا يستطيعه انسان .وكذلك الذين يدرسون النظم الاجتماعية ، والأصول التشريعية ، ويدرسون النظام الذى جاء به القرآن ، يدركون أن النظرة فيه الى تنظيم الجماعة الانسانية ومقتضيات حياتها من جميع جوانبها ، والفرص المدخرة فيه لمواجهة الأطوار والتقلبات في يسر ومرونة .. كل اولئك أكبر من أن يحيط به عقل بشرى واحد ، أو مجموعة العقول في جيل واحد او في جميع الأجيال. ومثلهم الذين يدرسون النفس الانسانية ووسائل الوصول الى التأثير فيها وتوجيهها ثم يدرسون وسائل القرآن وأساليبه ..

(ان الأداء القرآني يمتاز ويتميز من الأداء البشرى .. ان له سلطانا عجيبا على القلوب ليس للأداء البشرى ، حتى ليبلغ أحيانا أن يؤثر بتلاوته المجردة على الذين لا يعرفون من العربية حرفا) .. (٢)

---

١) في ظلال القرآن ج ١١ ص ٤٢٠

٢) في ظلال القرآن ج ١١ ص ٤٢١ - ٤٢٢ .

ب - عن ربوبيته تعالى :

- الأدلة النقلية -

١ - اخباره - سبحانه - عن ربوبيته في القرآن الكريم اذ قال - سبحانه - في الثناء على نفسه . " الحمد لله رب العالمين" (١)

وفي تقرير ربوبيته لمن في السماوات والارض يقول - سبحانه -

(قل من رب السماوات والأرض ؟ قل . الله) (٢)

(رب السماوات والأرض ومابينهما ان كنتم موقنين ، لا اله الا هو يحيي ويميت ربكم ورب آبائكم الأولين) (٣)

وفي اقامة الحجة على المشركين يقول سبحانه :

" قل من رب السماوات السبع ورب العرش العظيم ؟ . سيقولون الله . قل أفلا تتقون " (٤)

٢ - أخبار الأنبياء والرسل بربوبية الله - سبحانه - ، وذلك في مثل قوله تعالى :

- " ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين " (٥)

---

١) سورة الفاتحة آية (٢)

٢) سورة الرعد آية (١٦)

٣) سورة الدخان آية (٧ - ٨)

٤) سورة المؤمنون آية (٨٦ - ٨٧) .

٥) سورة الأعراف آية (٢٣)

- " رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث فاطر السماوات والأرض أنت وليي في الدنيا والآخرة " (١)
- " رب اشرح لي صدري ، ويسر لي أمري " (٢)

٣ - ايمان الآلاف بل الملايين من الناس واقرارهم بربوبية الله - سبحانه - للعالمين . وهذا الاقرار من بني الانسان جميعا بالميثاق الذى أخذه الله على البشر وهم مازالوا في أصلاب آبائهم ؛ قال تعالى : " اذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم ؟ قالوا بلى شهدنا " (٣)

الأدلة العقلية :

١ - تفرده - سبحانه - بالخلق والابداع . قال تعالى :
" ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين " (٤)
" قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار " (٥)

٢ - تفرده - سبحانه - بالرزق . " ومامن دابة في الأرض الا وعلى الله رزقها " (٦) .

---

١) سورة يوسف آية (١٠١)
٢) سورة طه آية (٢٥-٢٦)
٣) سورة الاعراف آية (١٧٢)
٤) سورة الأعراف آية (٥٤)
٥) سورة الرعد آية (١٦)
٦) سورة هود آية (٦)

(الذى جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء ، وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم) (١)

٣ - تفرده - سبحانه - بالملك ، فهو المتصرف بهذا الكون المدبر لجميع مافيه ومن فيه " قل من يرزقكم من السماء والأرض أم من يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله " (٢)

٤ - اعتراف المشركين بربوبيته تعالى وذلك في مثل قوله تعالى . (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم)(٣)

وقوله : (ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله) (٤)

وقوله (قل من رب السماوات السبع ورب العرش العظيم ؟ سيقولون الله) (٥)

وليس أبلغ - في مجال اقرار ربوبية الله تعالى - من قوله سبحانه :

(ان ربكم الله الذى خلق السماوات والأرض في ستة ايام ثم استوى على العرش يدبر الأمر مامن شفيع الا من بعد اذنه ،ذلكم الله

---

١) سورة البقرة آية (٢٢)

٢) سورة يونس آية (٣١)

٣) سورة الزخرف آية (٩)

٤) سورة العنكبوت آية (٦١)

٥) سورة المؤمنون آية (٨٦ - ٨٧)

ربكم فاعبدوه أفلا تذكرون . اليه مرجعكم جميعا وعد الله حقا ، انه يبدؤ الخلق ثم يعيده ، ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط ، والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون ، هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ، ماخلق الله ذلك الا بالحق ، يفصل الآيات لقوم يعلمون ، ان في اختلاف الليل والنهار وماخلق الله في السماوات والأرض لآيات لقوم يتقون " (١)

يقول صاحب " الظلال " رحمه الله تعالى عند تناوله لهذه الآيات .

(ان الله هو الذى خلق السماوات والارض ومافيهن ، وجعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل ، وقدر اختلاف الليل والنهار . . هذه الظواهر البارزة التي تلمس الحس ، وتوقظ القلب لو تفتح وتدبرها تدبر الواعي المدرك . .

ان الله الذى خلق هذا ودبره هو الذى يليق أن يكون ربا يدين له البشر بالعبودية ولا يشركون به شيئا من خلقه . . . أليست قضية منطقية حية واقعية ، لا تحتاج الى كد ذهن ، ولا الى بحث وراء الأقيسة الجدلية التي يملكها الذهن باردة جافة ، ولا تدفق القلب مره ولا تستجيش الوجدان ؟

(ان هذا الكون الهائل ، سماواته وأرضه وشمسه وقمره ، ليله ونهاره ، ومافي السماوات والأرض من خلق ومن أمم ومن سنن ، ومن نبات ومن طير ومن حيوان ، كلها تجرى على تلك السنن . .

---

١) سورة يونس آية (٣ - ٦)

(ان هذا الليل الطامي السادل الشامل ، الساكن الا من دبيب الرؤى والأشباح . وهذا الفجر المتفتح في سدف الليل كابتسامة الوليد ، الراضي ، وهذه الحركة يتنفس بها الصبح فيدب النشاط في الحيــاة والأحياء ؛ وهذه الظلال السارية يحسبها الرائي ساكنة وهي تدب فــي لطف ، وهذا الطير الرائح الغادى القافز الواثب الذى لا يستقر علــى حال .

وهذا النبت النامي المتطلع أبدا الى النمو والحياة . وهذه الخلائق الذاهبة الآتية في تدافع وانطلاق ؛ وهذه الأرحام التي تدفع ، والقبــور التي تبلع ، والحياة ماضية في طريقها كما شاء الله ..

(ان هذا الحشد كله ليستجيش كل خالجه في كيان الانســان للتأمل والتدبر والتأثر حين يستيقظ القلب ويتفتح لمشاهدة الآيــات المبثوثة في ظواهر الكون وحناياه " .

" ان ربكم الله الذى خلق السماوات والأرض " .

ان ربكم الذى يستحق الربوبية والعبادة هو هذا الخالــق الذى خلق السماوات والأرض " خلقها في تقدير وحكمة وتدبير حسبما اقتضت حكمته أن يتم تركيبها وتنسيقها وتهيئتها لما أراده الله) (١)

---

١) في ظلال القرآن ج ١١ ص ٣٨٤-٣٨٥

جـ - عن وحدانيته تعالى :

الأدلة النقلية :

١ - شهادة الله والملائكة وأولي العلم . قال تعالى :

" شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم " (١)

٢ - اخباره - سبحانه - عن وحدانيته في كثير من نصوص القرآن الكريم في مثل قوله تعالى :

" والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم " (٢)

" الله لا اله الا هو له الأسماء الحسنى " (٣)

" الله لا اله الا هو الحي القيوم " (٤)

والرسل كلهم كانوا يدعون هذه الدعوة .

قال تعالى حكاية عن سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام ،

(قل أغير الله أبغيكم الها وهو فضلكم على العالمين) (٥)

وعن يونس عليه السلام : " لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين " (٦)

---

١) سورة آل عمران آية (١٨)

٢) سورة البقرة آية (١٦٣)

٣) سورة طه آية (٨)

٤) سورة البقرة آية (٢٥٥)

٥) سورة الاعراف آية (١٤٠)

٦) سورة الأنبياء آية (٨٧)

وكل نبي كان يخاطب قومه داعيا اياهم بقوله : " ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره "(١)

وكان سيدنا رسول الله يقول أثناء التشهد في كل صلاة : (أشهد أن لا اله الا الله)

الأدلة العقلية :

١ - ان ربوبية الله سبحانه للعالمين كما ثبت لدينا في الفقرة السابقة مستلزمة بلا جدال لوحدانيته سبحانه وموحية لها " اذ أن الرب المتصرف المدبر لهذا الكون مافيه ومن فيه القائم على شئونه كلها لا يمكن الا أن يكون واحدا أحدا لا شريك له ولا مثيل ، والا فالاضطراب في هذا الكون حاصل لا محالة .

" لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا " (٢)

٢ - واذا كان كل مافي الكون من خلق الله وهو ربه . فكيف يعقل تأليه غيره من البشر معه أو من دونه ؟ واذا انتفى أن يكون في المخلوقات اله فوجب أن يكون الله عز وجل هو الاله المعبود الواحد الأحد .

" قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد " (٣)

---

١) سورة الأعراف آية (٥٩)
٢) سورة الأنبياء آية (٢٢)
٣) سورة الاخلاص آية (٤)

٣ - اتصافه - سبحانه - بالكمال المطلق ، وانعدام هذا الكمال عن أى من المخلوقات دليل واضح على وحدانيته سبحانه وتفرده بالألوهية فهو " ليس كمثله شيء وهو السميع البصير " (١)

انها أحدية الوجود .. ليس هناك حقيقة الا حقيقته - سبحانه - .

وأرى هنا ونحن نستعرض دلائل وحدانية الله تعالى أن نستمع معا الى صاحب كتاب في ظلال القرآن وهو يحدثنا عن حقيقة التوحيد وآثارها في النفس الانسانية والحياة البشرية من خلال معاني سورة الاخلاص فيقول : (ان الأحدية التي أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعلنها ((قل هو الله أحد)) هذه الأحدية عقيدة للضمير وتفسير للوجود ، ومنهج للحياة ..)

أنها احدية الوجود فليس هناك وجود الا وجود الله وهي أحدية الفاعلية فليس سواه فاعلا وهذه عقيدة في الضمير وتفسير للوجود .

فاذا استقر هذا التفسير ووضح هذا التصور خلص القلب من كل غا وشائبة ومن كل تعلق بغير هذه الذات الواحدة المتفردة ، ويتحرر من جميع القيود والأوهام والرهبة .

ومن هنا ينبثق منهج كامل للحياة ، قائم على ذلك التفسير وما يشيعه في النفس من تصورات ومشاعر واتجاهات .

---

(١) سورة الشورى آية (١١)

منهج لعبادة الله وللاتجاه الى الله وللتلقي عن الله وللتحرك والعمل لله وحده .

من أجل هذا كله كانت الدعوة الأولى قاصرة على تقرير حقيقة التوحيد بصورتها هذه في القلوب ، لأن التوحيد في هذه الصورة عقيدة للضمير وتفسير للوجود ومنهج للحياة .

والانحرافات التي اصابت أهل الكتاب من قبل والتي أفسدت عقائدهم وتصوراتهم وحياتهم نشأت عن انطماس صورة التوحيد . على أن الذى تمتاز به صورة التوحيد في العقيدة الاسلامية هو تعمقها للحياة كلها وقيام الحياة على أساسها ، واتخاذها قاعدة للمنهج العلمي الواقعي في الحياة تبدو آثاره في التشريع ومن الاعتقاد سواء .) (١)

(وهذا التوحيد هو الفارق بين الموحدين والمشركين . وعليه يقع الجزاء والثواب في الأولى والآخرة فمن لم يأت به كان من المشركين الخالدين فان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء) (٢)

وفي نهاية معالجتنا لفقرة الايمان بالله - المقوم الأول من مقومات العقيدة الاسلامية نجد من الضرورى أن نذكر بايجاز كلمة عن توحيد الأسماء والصفات ضمن تمام الايمان بالله ومعناه أن نعتقد ونجزم بأن الله - سبحانه متصف بجميع صفات الكمال ، ومنزه عن جميع صفات النقص ، وذلك بأن نثبت لله ما أثبته لنفسه وما أثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم - من الأسماء

---

١) راجع في ظلال القرآن ج ٣٠ ص ٧٠٢ - ٧٠٥

٢) رسالة الحسنة والسيئة لابن تيميه ص ١٢٨

والصفات الواردة في الكتاب والسنة من غير تحريف ولا تأويل ولا تشبيه ولا تعطيل ولا تكييف .. " ليس كمثله شيء وهو السميع البصير " (١)

ولقد أخبرنا ربنا - سبحانه - عن بعض أسمائه وصفاته فقال تعالى :

(ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ماكانوا يعملون) (٢)

وقال عزوجل : (قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ماتدعوا فله الأسماء الحسنى) (٣) .

كما وصف ربنا - سبحانه - نفسه في القرآن في عدة مواضع بأنه " سميع بصير ، عليم حكيم ، لطيف خبير ، قوى عزيز .. وأنه كلم موسى ، واستوى على العرش ويحب المحسنين ورضي عن المؤمنين .. الى غير ذلك من الصفات الذاتية والفعلية كمجيئه ونزوله واتيانه كما ورد في في القرآن والحديث .

وقد أقر الصحابة والتابعون وأئمة المسلمين في كل العصور بصفات الله - سبحانه - وعدم تأويلها أو تحريفها .

وكان الامام الشافعي رحمه الله يقول : (آمنت بالله وبما جاء عن الله على مراد الله . وآمنت برسول الله وبما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله .) (٤)

---

١) سورة الشورى آية (١١)

٢) سورة الأعراف آية (١٨٠)

٣) سورة الاسراء آية (١١٠)

٤) الأسئلة والأجوبة الأصولية ص (٥٠)

٥) راجع منهاج المسلم لأبي بكر الجزائرى ص (٧ - ١٨)

ثانيا - الايمان بالملائكة :

وهو المقوم الثاني من مقومات الايمان " آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته " (١) ..

والملائكة مخلوقات نورانيه تعبد الله وتطيعه (لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون مايؤمرون) (٢) وهم - (عباد مكرمون ، لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون) (٣) .

فالملائكة تختلف عن البشر في أنه ليس لها قوة الاختيار وانما طبيعتها الطاعة وعدم العصيان . (ولله يسجد مافي السماوات وما في الأرض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون ، يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون مايؤمرون) (٤)

وللملائكة وظائف محددة كلفها الله بها ، وأهم أعمالها ابلاغ الوحي الالهي الى الرسل ، قال تعالى : " الحمد لله فاطر السماوات والأرض جاعل الملائكة رسلا أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع " (٥)

---

١) سورة البقرة آية (٢٨٥)

٢) سورة التحريم آية (٦)

٣) سورة الأنبياء آية (٢٦ - ٢٧)

٤) سورة النحل آية (٤٩ - ٥٠)

٥) سورة فاطر آية (١)

وبعض الملائكة ـ وهم الحفظة ـ يقومون بمراقبة أعمال النـــــاس وتسجيلها ؛ قال تعالى ؛

" وان عليكم لحافظين ، كراما كاتبين ، يعلمون ماتفعلون "(١)

وآخرون دورهم تثبيت الرسل وتأييدهم ؛ قال تعالـــى :

" وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس " (٢) ؛ ؛

وتتنزل الملائكة على المؤمنين مواسية اياهم ومبشرة لهم قال ـ سبحانه له " ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافـــوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون ، نحن أولياؤكم في الحيـــاة الدنيا وفي الآخرة " (٣)

كما تتنزل الملائكة بأمر من الله ـ سبحانه ـ لمشاركة المسلمين فـــي القتال ضد المشركين " اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكـــم بألف من الملائكة مردفين " (٤)

ومن الملائكة من يقبض الروح بأمر الله : " قل يتوفاكم ملك المـوت الذى وكل بكم ثم الى ربكم ترجعون " (٥)

ومنهم من يستغفرون للمؤمنين ، ويستغفرون للذين آمنوا " (٦)

---

١) سورة الانفطار آية (١٠ - ١٢)
٢) سورة البقرة آية (٨٧)
٣) سورة فصلت آية (٣٠ - ٣١)
٤) سورة الانفال آية (٩)
٥) سورة السجدة آية (١١)
٦) سورة غافر آية (٧)

ومنهم حملة العرش " الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به " (١) .. " وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم ، وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين " (٢) .. ومنهم خزنة الجنة وخزنة النار يستقبلون أهل الجنة بالسلام والدعاء ، ويستقبلون أهل النار بالتأنيب والوعيد .

" وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا حتى اذا جاءوها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين ، وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا حتى اذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ، سلام عليكم طبتم فأدخلوها خالدين " (٣)

" وما جعلنا أصحاب النار الا ملائكة " (٤) ..

وهم يتوفون أهل الأرض اذا جاء أجلهم ، " وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى اذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون " (٥)

ومنهم من يحضر مجالس العلم والذكر ففي الحديث الشريف يقول عليه الصلاة والسلام :

---

١) سورة غافر آية (٧)

٢) سورة الزمر آية (٧٥)

٣) سورة الزمر آية (٧١ - ٧٣)

٤) سورة المدثر آية (٣١)

٥) سورة الانعام آية (٦١)

(وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم الا حفتهم الملائكة ونزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وذكرهم الله فيمن عنده . " (١)

أما عدد الملائكة فهو كبير لا يحصى ولا يعلمه الا الله . قال تعالى :

" وما يعلم جنود ربك الا هو وماهي الا ذكرى للبشر . " (٢)

---

١) رواه ابن ماجه ج ١ ص ٨٢

٢) سورة المدثر آية (٣١)

ثالثا ـ الايمان بكتب الله :

الايمان بكتب الله من مقومات العقيدة الاسلامية الذى ان جحده أحد خرج عن دائرة الايمان وفسدت عقيدته وأصبح من عداد الكافرين .

وقد ذكر ربنا ـ سبحانه ـ في كتابه الكريم بعض هذه الكتب فالتوراة التي أنزلها الله على سيدنا موسى عليه السلام ذكرت في قوله تعالى : " انا أنزلنا التوراة فيها هدى و نور " (١)

والانجيل الذى أنزل على سيدنا عيسى عليه السلام جاء ذكره في قوله ـ سبحانه ـ : " وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة ، وآتيناه الانجيل فيه هدى ونور " (٢)

والزبور الذى آتاه الله سيدنا داود عليه السلام بقوله تعالى : " وآتينا داود زبورا " (٣)

ثم هناك صحف ابراهيم وموسى عليهما الصلاة والسلام التي ذكرها الله في سورة الأعلى بقوله : " ان هذا في الصحف الأولى صحف ابراهيم وموسى " (٤)

وأخيرا القرآن الكريم الذى ختم الله به الكتب كلها ونسخ به كل الصحف والكتب التي أنزلت قبله . قال تعالى : " وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه " (٥)

---

١) سورة المائدة آية (٤٤)
٢) سورة المائدة آية (٤٦)
٣) سورة النساء آية (١٦٣)
٤) سورة الأعلى آية (١٨ - ١٩)
٥) سورة المائدة آية (٤٨)

ولما كان القرآن هو أفضل الكتب السماوية وآخرها ولن يكون بعده كتاب آخر فقد تكفل الله بحفظه الى يوم القيامة . قال تعالى :

" انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون "(١)

وهذه خاصة يتميز بها القرآن الكريم عن بقية الكتب السماوية حيث أن كل الكتب السابقة للقرآن قد حرقت أو بدلت أو فقدت . ولكن يبقى الايمان بها ـ كما أنزلها الله ـ ركنا من أركان العقيدة الاسلامية لا تصح الا به .

ولما كان القرآن الكريم هو خاتم الكتب ، وشريعته خاتمة الشرائع ، وأحكامه صالحة لكل زمان ومكان ، والأخذ بها فرض على المسلمين في كل الظروف والأوقات . لذا كان لابد من تفصيل الحديث عن هذا الكتاب العظيم :

ان القرآن الكريم هو كلام الله الذى أوحاه الى سيدنا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم والذى تحدى به الجن والانس : " قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا " (٢)

ولهذا كان القرآن الكريم هو المعجزة الكبرى لهذا الدين سواء في مبناه اللغوى الرائع ، أم في معناه الروحي الفائق ، أم في دقة أحكامه وتشريعاته .. يقول صاحب " الظلال " رحمه الله :

---

١) سورة الحجر آية (٩)

٢) سورة الاسراء آية (٨٨)

(ان هذا القرآن شاهد بذاته ، بتعبيره ثم بمحتوى هذا التعبير ، على أنه من عند الله .. والعرب لم يكونوا يجحدون الله ... وهم - على وجه التأكيد - كانوا يحسون ذلك ويعرفونه .. كانوا يعرفون بحسهم اللغوى الأدبي الفني مدى الطاقة البشرية ، ويعرفون أن هذا القرآن فوق هذا المدى - وهذا الاحساس يعرفه من يمارس فن القول ويتذوقه أكثر مما يعرفه من ليست له هذه الممارسة .

وكل من مارس فن القول يدرك ادراكا واضحا أن هذا القرآن فوق مايملك البشر أن يبلغوا ، لا ينكر هذا الا معاند يجد الحق في نفسه ثم يخفيه . كما أن المحتوى القرآني من التصور الاعتقادى والمنهج الذى يتخذه لتقرير هذا الاعتقاد في الادراك البشرى ، ونوع المؤثرات واللمسات الموحية .. كلها غير معهود في طبيعة التصورات البشرية والمناهج البشرية والطرائق البشرية في الأداء النفسي والتعبيرى أيضا .. وبعض العرب لم يكن يخفى عليهم الشعور بهذا في قرارة نفوسهم . وأقوالهم ذاتها وأحوالهم تقرر أنهم ماكانوا يشكون في أن هذا القرآن من عند الله " (١) ..

" ذلك الكتاب لا ريب فيه ، هدى للمتقين " (٢)

ولقد انعقد اجماع المسلمين على أن القرآن الكريم وكذلك السنة هما

---

١) في ظلال القرآن ج ٧ ص ١٣٦

٢) سورة البقرة آية (٢)

أساس الدين والشريعة وهما الطريق الوحيد لثبوت العقائد ، فقد أوضح القرآن العقيدة الاسلامية وفصلها تفصيلا . أما الشريعة فقد بين بعض أحكامها تفصيلا كالميراث والمحرمات من النساء . وأجمل الباقي كالصلاة والزكاة في العبادات ، وكالبيع والربا في المعاملات . وترك بعض بيان ما أجمله الى السنة النبوية المطهرة .

رابعا - الايمان بالرسل :

لقد أوجب الله - سبحانه - على كل مسلم الايمان بجميع الرسل دون تفريق : " قولوا آمنا بالله ، وما أنزل الينا وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والأسباط ، وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبييون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون " (١) .

والذى يؤمن ببعض الرسل ويكفر بالبعض الآخر يخرج عن دائرة الايمان قال تعالى : " ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا أولئك هم الكافرون حقا " (٢)

(والايمان برسل الله بدون تفرقة بين أحد من رسله هو المقتضى الطبيعي الذى ينبثق من الايمان بالله في الصورة التي يرسمها الاسلام . فالايمان بالله يقتضي الاعتقاد بصحة كل ماجاء من عند الله ، وصدق كل الرسل الذين يبعثهم الله ، ووحدة الأصل الذى تقوم عليه رسالتهم وتتضمنه الكتب التي نزلت عليهم .. ومن ثم لا تقوم التفرقة بين الرسل في ضمير المسلم فكلهم جاء من عند الله بالاسلام في صورة من صوره المناسبة لحال القوم الذين أرسل اليهم حتى انتهى الأمر الى خاتم النبيين - محمد صلى الله عليه وسلم - فجاء بالصورة الأخيرة للدين الواحد لدعوة البشرية كلها الى يوم القيامة) (٣)

---

١) سورة البقرة آية (١٣٦)
٢) سورة النساء آية (١٥٠ - ١٥١)
٣) في ظلال القرآن ج ٣ ص ٥٠٢ .

ولم تخل أمة من الأمم من رسول دعاها الى توحيد الله وعبادته ، وبلغها شريعة الله ، وبشرها بالجنة وأنذرها عذاب الله قال تعالى : " وان من أمة الا خلا فيها نذير " (١)

وقال - سبحانه - : " كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق " (٢)

وقد ذكر لنا ربنا - سبحانه - بعض النبيين في كتابه الكريم وبعضهم الآخر لم يقصهم علينا . قال تعالى : " ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك " (٣)

ولقد خص الله - سبحانه - رسله بمواهب وصفات يستطيعوا بها تلقي الوحي عن الله . قال تعالى : " الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس " (٤)

ومنحهم مزايا وفضائل ليقدروا بها على الاضطلاع بأعباء الرسالة وليكونوا قدوة حسنة لأتباعهم .

ولكن هذه المزايا والصفات لا تنفي عن الرسل صفة البشرية ، فهم يظلون بشرا يأكلون ويتزوجون ويمرضون ويموتون :

---

١) سورة فاطر آية (٢٤)
٢) سورة البقرة آية (٢١٣)
٣) سورة النساء آية (١٦٤)
٤) سورة الحج آية (٧٥)

" وما أرسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق " (١)

" ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية " (٢)

" وأيوب اذ نادى ربه أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين " (٣)

" وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل ، أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم " (٤)

" انك ميت وانهم ميتون " (٥)

والرسول لا يملك النفع ولا الضر ولا يعلم من الغيب الا ما أطلعه الله عليه باذنه : " قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ماشاء الله ، ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء ، ان أنا الا نذير وبشير لقوم يؤمنون " (٦)

وقال سبحانه " عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحد . الا من ارتضى من رسول فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا .

---

١) سورة الفرقان آية "(٢٠)
٢) سورة الرعد آية (٣٨)
٣) سورة الأنبياء آية (٨٣)
٤) سورة آل عمران آية (١٤٤)
٥) سورة الزمر آية (٣٠)
٦) سورة الأعراف آية (١٨٨)

ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم وأحاط بما لديهم وأحصى كل شيء عددا " (١)

ورسل الله لم يكونوا الا رجالا . قال تعالى : " وما أرسلنا قبلك الا رجالا نوحي اليهم " (٢)

وألوا العزم من الرسل هم : نوح وابراهيم ، وموسى ، وعيسى ، ومحمد عليهم الصلاة والسلام .

وأفضل الرسل على الاطلاق هو سيدنا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم فهو رسول الله الى الناس جميعا حتى قيام الساعة . قال تعالى : " وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا " (٣) .. " قل يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعا " (٤)

وهو خاتم النبيين ، " ماكان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين " (٥)

أما الحكمة من وراء ارسال الرسل للناس فهو هدايتهم الى مافيه صلاح دنياهم وآخرتهم ، واخراجهم من الظلمات الى النور ، وارشادهم الى الخير، وتحذيرهم من طريق الشر .

---

١) سورة الجن آية (٢٦ - ٢٨) .

٢) سورة الأنبياء آية (٧)

٣) سورة سبأ آية (٢٨)

٤) سورة الأعراف آية (١٥٨)

٥) سورة الأحزاب آية (٤٠)

ورد هم الى عبادة الله وحده : " ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت " (١) .

وقد أيد الله - سبحانه - الرسل بالمعجزات المختلفة ، التي كان من أعظمها وأقواها معجزة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وهي القرآن الكريم الذى تحدى به ربنا الجن والانس : " قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا " (٢)

وهذه المعجزة ستبقى خالدة مدى الزمن حتى يرث الله الأرض ومن عليها : " انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون " (٣)

ومن أجل هذا كله كان الايمان برسل الله جميعا أحد مقومات العقيدة الاسلامية وركنا من أركانها لا يجوز هدمه أو انكاره والا فهو الكفر والخروج من دائرة الايمان : " قولوا آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون .

---

١) سورة النحل آية (٣٦)

٢) سورة الاسراء آية (٨٧) .

٣) سورة الحجر آية (٩)

٤) سورة آل عمران آية (٨٤)

خامسا ـ الايمان باليوم الآخر :

ان الايمان بما أخبر به الله سبحانه في كتابه الكريم وبما حدث به الرسول صلى الله عليه وسلم ، مما سيكون بعد الموت من وقائع وأحداث وحساب وجزاء وجنة أو نار يعد من مقومات العقيدة الاسلامية وواحدا من الأسس التي تقوم عليها هذه العقيدة .

وكل من أنكر اليوم الآخر خرج من دائرة الايمان ودخل دائرة الكفر وأصبح دمه مهدرا : " قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر "(١)

ولما كانت قضية اليوم الآخر قضية كفر وايمان فقد اهتم القرآن ببيانها وتوضيحها ولم تخل سورة من سور القرآن المكية من ذكر هذه القضية بالايجاز أحيانا وبالتفصيل أحيانا أخرى ، وأطلق القرآن على اليوم الآخر أوصافا متعددة وأسماء كثيرة .

(وقال الذين أوتوا العلم والايمان لقد لبثتم في كتاب الله الى يوم البعث ، فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون) (٢)

(ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة) (٣)

(اقتربت الساعة وانشق القمر) (٤)

" اني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب " (٥)

---

١) سورة التوبة آية (٢٩)

٢) سورة الروم آية (٥٦)

٣) سورة الزمر آية (٦٠)

٤) سورة القمر آية (١)

٥) سورة غافر آية (٢٧)

" يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن "(١)

" فاذا جاءت الطامة الكبرى " (٢)

" اذا وقعت الواقعة " (٣)

" وأنذرهم يوم الحسرة اذ قضى الأمر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون " (٤) الى غير ذلك من الأسماء والصفات العديدة التي ذكرها القرآن الكريم .

وقد تعرضت جميع الرسالات السماوية الى اليوم الآخر وبيان مقتضياته لما كان يقع في أذهان الناس من تصورات خاطئة وعقائد فاسدة عن طبيعة هذا اليوم وعن المصير الذى سيلقاه الانسان بعد موته ، وماهية الحياة بعد الموت .. الى جانب الانكار الذى كان سمة بعض المشركين في كافة العصور والأزمان :

" وقالوا ماهي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر"(٥)

وقد تحدث القرآن الكريم عن طبيعة هذا اليوم وأوصافه ودلائله في مواطن كثيرة ومواضع عديدة ..

وكلها تدل على حدوث انقلاب جذرى في نظام هذا الكون وتغير هائل في طبيعته : فالسماء تتفطر والأرض تتشقق ، والجبال تسير ، والنجوم

---

١) سورة التغابن آية (٩)

٢) سورة الفاتحة آية (٤)

٣) سورة النازعات آية (٣٤)

٤) سورة الواقعة آية (١)

٥) سورة مريم آية (٣٩)

تندثر ، والقبو تتبعثر .. الى غير ذلك من الحوادث والتبدلات التي تقع في هذا اليوم يقول ربنا سبحانه : " اذا الشمس كورت ، واذا النجوم انكدرت ، واذا الجبال سيرت ، واذا العشار عطلت ، واذا الوحوش حشرت ، واذا البحار سجرت ، واذا النفوس زوجت ، واذا الموؤدة سئلت، بأى ذنب قتلت ، واذا الصحف نشرت ، واذا السماء كشطت ، واذا الجحيم سعرت ، واذا الجنة أزلفت ، علمت نفس ما أحضرت " (١)

ويجمع ذلك كله قول الله المعجز : " يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات وبرزوا الله الواحد القهار " (٢)

(وهذه الأحداث الكونية الضخام تسير بجملتها الى أن هذا الكون الذى نعهده ، الكون المنسق الجميل ، الموزون الحركة ، المضبوط النسبة ، المتين الصنعة ، المبني بأيد واحكام ، أن هذا الكون سينفرط عقد نظامه ، وتتناثر أجزاؤه ، وتذهب عنه صفاته هذه التي يقوم بها ، وينتهي الى اجله المقدر ، حيث تنتهي الخلائق الى صورة أخرى من الكون ومن الحياة ومن الحقائق غير ماعهدت نهائيا في هذا الكون المعهود) (٣)

ولما كانت مسألة البعث بعد الموت موطن شكوك وانكار لدى كثير من الناس - قديما وحديثا - فقد وضح القرآن الكريم حقيقة البعث = وجاء بالأدلة الدامغة على حدوثه . قال تعالى :

---

١) سورة الجاثية آية (٢٤)
٢) سورة التكوير آية (١ - ١٤)
٣) سورة ابراهيم آية (٤٨)
٤) في ظلال القرآن ج ٣٠ ص ٤٧٦

" وضرب لنا مثلا ونسي خلقه ، قال : من يحي العظلم وهي رميم ؟ ، قل : يحيها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم " (١)

وقال - سبحانه - : " أفعيينا بالخلق الأول بل هم في لبس من خلق جديد " (٢)

ولا أحد يعرف كيف تكون المنشأة الجديدة غير الله عز وجل .

قال تعالى : " نحن قدرنا بينكم الموت ومانحن بمسبوقين ، على أن نبدل أمثالكم وننشئكم فيما لا تعلمون ، ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون " (٣)

أما متى يكون البعث ؟ ومتى يقع اليوم الآخر ؟ وفي أى وقت تقوم الساعة ؟ : فهذا من الغيب الذى استأثر الله به نفسه ، وخص به ذاته ، ولم يطلع عليه أحدا من خلقه .

قال تعالى : " ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم مافي الأرحام " (٤) ...

وحتى رسل الله وملائكته لا يعلمون زمن حدوث الساعة . قال عز وجل : " يسألونك عن الساعة أيان مرساها ؟ قل : انما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها الا هو ثقلت في السموات والأرض لا تأتيكم الا بغتة ، يسألونك كأنك حفي عنها ، قل : انما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون " (٥)

---

١) سورة يس آية (٧٨ - ٧٩)
٢) سورة ق آية (١٥)
٣) سورة الواقعة آية (٦٠ - ٦٢)
٤) سورة لقمان آية (٣٤)
٥) سورة الأعراف آية (١٨٧)

أما الحكمة من بقاء زمن حدوث اليوم الآخر مجهولا لدى النـــاس فهي ماذكره الألوسي في تفسيره بقوله : (وانما أخفى الله سبحانه أمـــر الساعة لاقتضاء الحكمة التشريعية فانه ذلك أدعى الى الطاعة ، وأزجـــر عن المعصية ، كما ان اخفاء الأجل الخاص للانسان كذلك) (١)

---

١) العقائد الاسلامية لسيد سابق ص (٢٦٧)

سادسا - الايمان بالقضاء والقدر :

الايمان بقضاء الله سبحانه في مخلوقاته وقدره فيها هو أحد مقومات العقيدة الاسلامية والركن السادس والأخير من أركان الايمان .

ولقد مر معنا أن الله - سبحانه - وتعالى - هو مالك الملك وخالق كل شيء " الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل " (١)

وهو رب الكائنات والموجودات كلها ، المتصرف فيها بما شاء وكيف يشاء ، بمقتضى حكمته وعدله ، ووفق مشيئته وأمره . " قال ربنا الذى أعطى كل شيء خلقه ثم هدى " (٢)

وعلى هذا وكل حدث في هذا الكون الفسيح انما يجرى وفق مشيئة الله حسب القاموس الذى وضعه الله . .

" قل اللهم مالك الملك ، تؤتي الملك من تشاء ، وتنزع الملك ممن تشاء ، وتعز من تشاء ، وتذل من تشاء ، بيدك الخير ، انك على كل شيء قدير ، تولج الليل في النهار ، وتولج النهار في الليل ، وتخرج الحي من الميت ، وتخرج الميت من الحي ، وترزق من تشاء بغير حساب " (٣) .

وكل شيء في هذا الوجود انما يحدث بقدر . قال تعالى :

" انا كل شيء خلقناه بقدر " (٤)

---

١) سورة الزمر آية (٦٢)

٢) سورة طه آية (٥٠)

٣) سورة آل عمران آية (٢٦ - ٢٧)

٤) سورة القمر آية (٤٩)

" وان من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم "(١) .

" وكل شيء عنده بمقدار "(٢) .

والمقصود بالقدر : النظام المحكم الذى وضعه الله لهذا الوجود ، والقوانين العامة والسنن الثابتة التى ربط الله بها الاسباب بمسبباتها) (٣) .

- تعريف القضاء والقدر :

القدر كل ماقدره الله فى اللوح المحفوظ وقضاه الى يوم القيامة فهو عالم بما الخلق عاملون بالعلم القديم الذى هو موصوف به أزلا وأبدا وعلم جميع أعمالهم من الطاعات والمعاصى والارزاق والآجال . (٤)

- الأدلة على ذلك :

قال تعالى : " انا كل شيء خلقناه بقدر "(٥) .

قال تعالى : " قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا "(٦) .

قال تعالى : " ما أصاب من مصيبة فى الارض ولا فى أنفسكم الا فى كتاب من قبل أن نبرأها ان ذلك على الله يسير "(٧) .

ومن السنة قوله صلى الله عليه وسلم من حديث جبريل : " وتؤمن بالقدر خيره وشره "(٨) .

---

(١) سورة الحجر آية (٢١) .
(٢) سورة الرعد آية (٨) .
(٣) العقائد الاسلامية لسيد سابق ص (٩٥) .
(٤) كتاب الاجوبة المفيدة على اسئلة العقيدة للشيخ عبد الرحمن الجطيلى ص ٥٧ الطبعة الاولى سنة ١٣٩٤ هـ - الناشر مكتبة النهضة الحديثة .
(٥) سورة القمر اية (٤٩)
(٦) سورة التوبة آية (٥١)
(٧) سورة الحديد آية (٢٢)
(٨) رواه مسلم .

وقوله صلى الله عليه وسلم : " اعملوا فكل ميسر لما خلق له "(١) .

وقد ذكر ابن القيم ان مراتب القضاء والقدر اربعة مراتب :

أولا : علم الرب سبحانه بالاشياء قبل كونها .

ثانيا : كتابته لها قبل كونها .

ثالثا : مشيئته لها .

رابعا : خلقه لها .(٢)

وقد عرفه النووي - رحمه الله - بقوله : (ان الله تبارك وتعالى قدر الاشياء فى القدم ، وعلم سبحانه انها ستقع فى أوقات معلومة وعلى صفات مخصوصة ، فهى تقع حسب ماقدرها الله) قال تعالى :

" وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم ، والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم ، لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون "(٣) .

والايمان بالقدر ليس فيه معنى الجبر . قال الخطابي :

(قد يحسب كثير من الناس ان معنى القضاء والقدر اجبار الله سبحانه العبد على ماقدره وقضاه ، وليس الامر كما يتوهمون ، وانما معناه الاخبار عن تقديم علم الله سبحانه بما يكون من اكتسابات العبد وصدورها عن

---

(١) رواه البخارى ومسلم .

(٢) شفاء العليل لابن القيم ص ٦٦ - تحقيق الحسانى عبدالله - الناشر دار التراث بمصر عام ١٩٧٥ م .

(٣) سورة يس آية (٣٧ - ٤٠) .

تقدير منه تعالى وخلقه لها خيرها وشرها .. والقدر اسم لما صدر مقدرا عن فعل القادر) .

وعلم الله بما سيقع ووقوعه حسب هذا العلم لا تأثير له في ارادة العبد فان العلم صفة انكشاف لا صفة تأثير) (١)

وقد أرسل الله سبحانه الرسل ليبينوا للناس طريق الخير ويحذرونهم من طريق الشر ، ووهب الله للانسان العقل الذى يفكر به ، والذى فضله به عن سائر المخلوقات .

قال تعالى : " وهديناه النجدين " (٢) وقال سبحانه :

" انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا " (٣)

فلو شاء الله أن يكون الناس على طريق واحد لكان هذا الطريق طريق الهداية .

ولكن الله لا يجبر الناس على اتباع طريق يحدده لهم . قال تعالى :

" سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ، ان تتبعون الا الظن وان أنتم الا تخرصون ، قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين " (٤) .

---

١) العقائد الاسلامية لسيد سابق ص (٩٦)

٢) سورة البلد آية (١٠)

٣) سورة الانسان آية (٣)

٤) سورة الأنعام آية (١٤٨ - ١٤٩)

فمشيئة الله تظهر في ارسال الرسل لهداية الناس وارشادهم وتحذيرهم من الكفر والضلال .

أما مشيئة الانسان فتظهر في اختيار أحد الطريقين : الايمان أو الكفر والقرآن في كثير من الآيات يثبت الاختيار للانسان وانه مسئول عن عمله ، قال تعالى : " وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير " (١)

وقال سبحانه : " من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد " (٢)

ولكن ناسا من الناس احتجوا بقوله تعالى : " انك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء " (٣) لبيان أن الانسان مجبر وليس له صفة الارادة .

ونحن نرد على هذا بقولنا : ان الهداية والضلال اللذان بيد الله بين القرآن بأنهما نتيجة لأسباب يقع فيها العباد . قال تعالى : " ان الله لا يهدى القوم الظالمين " (٤)

ويقول سبحانه : " ان الله لا يهدى من هو كاذب كفار " (٥)

ويقول أيضا : " فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم " (٦)

---

١) سورة الشورى آية (٣٠)

٢) سورة فصلت آية (٤٦)

٣) سورة القصص آية (٥٦)

٤) سورة المائدة آية (٥١)

٥) سورة الزمر آية (٣)

٦) سورة الصف آية (٥)

فأصحاب الصفات السابقة لا يستحقون هداية الله ورحمته بسبب ظلمهم وكفرهم ..

أما الذين يستحقون هداية الله ورحمته فهم المؤمنون . قال تعالى : " ومن يؤمن بالله يهد قلبه " (١) . وقال سبحانه موضحا وصول هداية القرآن لمن يتبع رضوان الله : " يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام " (٢) .

هذا وان اختيار العبد ومشيئته انما يتمان ضمن مشيئة الله عز وجل . فما يختاره الانسان ليس جبرا من الله وليس جبرا على الله وانما ضمن مشيئة الله سبحانه : " وما تشاؤون الا أن يشاء الله رب العالمين " (٣)

وعلى هذا المعنى وردت بعض الآيات القرآنية مثل قوله تعالى : " وربك يخلق مايشاء ويختار ماكان لهم الخيرة " (٤) " وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يمسسك بخير فهو على كل شيء قدير ، وهو القاهر فوق عباده " (٥)

(والواقع ان هذه الآيات وماجرى مجراها تصور حقيقة علمية قررتها كثرة فلاسفة الغرب وعلمائه وأطلقوا عليها مذهب الجبرية ، ونسبوا الجبر فيها الى سنة الكون ومجموع الحياة فيه بدل أن ينسبوها الى الله وعلمه وقدرته ..

---

١) سورة التغابن آية (١١)
٢) سورة المائدة آية (١٦)
٣) سورة التكوير آية
٤)

وهذه الجبرية العلمية تذهب الى أن مالنا من اختيار في الحياة انما هو اختيار نسبي ضئيل القدر ، وأن القول بهذا الاختيار النسبي يرجع الى ضرورات الحياة الاجتماعية من ناحية عملية أكثر مما يرجع الى حقيقة علمية أو فلسفية ، فلو لم يتقرر مذهب الاختيار لتعذر على الجماعة أن تجد أساسا تقيم عليه تشريعها وحدودها وتنظم بذلك حياتها .(١)

---

١) حياة محمد : محمد حسنين هيكل .

الفصل الثاني

خصائص العقيدة

خصائص العقيدة الاسلامية

تمهيد :

للعقيدة الاسلامية خصائصها المميزة التي تفردها من سائر العقائد وتجعل لها شخصيتها المستقلة وطبيعتها الخاصة ..

هذه الخصائص تتعدد وتتنوع ، ولكنها تتضام وتتجمع عند خاصية واحدة هي التي تنبثق منها وترجع اليها سائر الخصائص .. خاصية الربانية ..

ونسوق فيما يلي بيانا مجملا لأهم تلك الخصائص :

أولا - الربانية :

وهي أولى خصائص العقيدة الاسلامية ، ومصدر هذه الخصائص كذلك ، فهي - أى العقيدة الاسلامية - (تصور اعتقادى موحى به من الله - سبحانه - ومحصور في هذا المصدر لا يستمد من غيره ..

وذلك تمييزا له من التصورات الفلسفية التي ينشئها الفكر البشرى حول الحقيقة الالهية ، أو الحقيقة الكونية ، أو الحقيقة الانسانية ، والارتباطات القائمة بين هذه الحقائق . وتميزا له كذلك من المعتقدات الوثنية التي تنشئها المشاعر والأخيلة والأوهام والتصورات البشرية ..

(وينص المصدر الالهي الذى جاءنا بهذا التصور - وهو القرآن الكريم - وكذلك السنة - على أنه كله من عند الله ، هبة للانسان من لدنه ، ورحمة له من عنده ، وأن الفكر البشرى لم يشارك في انشائه ، وانما تلقاه تلقيا ليهتدى به ويهدى ، وأن هذه الهداية

عطية من الله كذلك ، يشرح لها الصدور ، وأن وظيفة الرسول - أي رسول في شأن هذا التصور هي مجرد النقل الدقيق ، والتبليغ الأمين ، وعدم خلط الوحي الذى يوحى اليه من عند الله بأى تفكير بشرى :

" وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ، ماكنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان ، ولكن جعلناه نورا نهدى به من شاء من عبادنا ، وانك لتهدى الى صراط مستقيم . صراط الله الذى له ما في السماوات ومافي الأرض ، الا الى الله تصير الأمور " (١) ، (٢)

وعلى هذا فالعقيدة الاسلامية مبرأة من النقص ، مبرأة من الجهل ، مبرأة من الهوى .. ومن ثم فهي العقيدة الوحيدة التي يمكن أن ينبثق منها ويقوم عليها أقوم منهج للحياة وأشمله .

ثم ان العقيدة الاسلامية هي العقيدة الوحيدة التي احتفظت بأصلها الرباني (فالتصورات الاعتقادية السماوية التي جاءت - قبل الاسلام - قد دخلها التحريف في صورة من الصور ، وقد أضيفت الى أصول الكتب المنزلة شروح وتصورات ، وتأويلات وزيادات ، ومعلومات بشرية أدمجت في صلبها فبدلت طبيعتها " الربانية " . وبقي الاسلام وحده محفوظ الأصول ، لم يشب نبعه الأصيل كدر ، ولم يلبس فيه الحق بالباطل ، وصدق وعد الله في شأنه :

" انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون " (٣)

---

١) سورة الشورى آية (٥٢ - ٥٣)

٢) خصائص التصور الاسلامي ص (٥١ ، ٥٢) لسيد قطب رحمه الله

٣) سورة الحجر آية (٩)

وهذه هي الحقيقة المسلمة التي تجعل لهذا التصور قيمته الفريدة) (١) .

ثانيا ـ الثبات :

هناك ثبات في مقومات العقيدة الاسلامية وخصائصها الذاتية ، فهي لا تتغير ولا تتطور حينما تتغير ظواهر الحياة الواقعية وأشكال الأوضاع العملية . . فهذا التغير في ظواهر الحياة وأشكال الأوضاع يظل محكوما بالمقومات والخصائص الثابتة لهذه العقيدة .

ولا يقتضي هذا تجميد حركة الفكر والحياة ، ولكنه يقتضي السماح لها بالحركة ـ بل دفعها الى الحركة ـ ولكن داخل هذا الاطار الثابت وحول هذا المحور الثابت . . وفيما يلي نماذج من الثبات في العقيدة الاسلامية وهي التي تمثل المحور الثابت الذى يدور عليه المنهج الاسلامي في اطاره الثابت :

(ان كل مايتعلق بالحقيقة الالهية ثابت الحقيقة وثابت المفهوم أيضا ، وغير قابل للتغيير ولا للتطوير :

حقيقة وجود الله وسر قوته ، ووحدانيته ، وقدرته ، وهيمنته ، وتدبيره لأمر الخلق ، وطلاقة مشيئته . . الى آخر صفات الله الفاعلة في الكون والحياة والناس .

وحقيقة أن الكون كله من خلق الله وابداعه ، أراده الله سبحانه فكان .

---

١) خصائص التصور الاسلامي ص (٥١)

وليس لشيء ولا لحي في هذا الكون أثارة من أمر الخلق في هذا الكون ، ولا التدبير ولا الهيمنة ولا مشاركة في شيء من خصائص الألوهية بحال ..

(وحقيقة العبودية لله .. عبودية الأشياء والأحياء .. وحقيقة أن الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره .. شرط لصحة الأعمال وقبولها . والا فهي باطلة من الأساس ، غير قابلة للتصحيح .

وحقيقة أن الدين عند الله الاسلام ، وأن الله لا يقبل من الناس دينا سواه ، وأن الاسلام معناه افراد الله سبحانه بالألوهية وكل خصائصها والاستسلام لمشيئته والرضى بالتحاكم الى أمره ومنهجه وشريعته ..

وحقيقة أن الانسان مخلوق مكرم على سائر الخلائق في الارض . مستخلف من الله فيها مسخر له كل مافيها ، ومن ثم فليست هناك قيمة مادية في هذه الأرض تعلو على قيمة الانسان أو تهدر من أجلها قيمته ..

وحقيقة أن الناس من أصل واحد ومن ثم فهم - من هذه الناحية - متساوون . وأن القيمة الوحيدة التي يتفاضلون بها هي التقوى والعمل الصالح .

وحقيقة أن غاية الوجود الانساني هي العبودية لله .. بمعنى العبودية المطلقة لله وحده بكل مقتضيات العبودية ..

وحقيقة أن الدنيا دار بلاء وعمل ، وأن الآخرة دار حساب وجزاء ، وأن مرد الأمور كلها الى الله ..

هذه وأمثالها — مما جاءت به عقيدة الاسلام - كلها ثابتة غير قابلة للتغيير ولا للتطور ثابتة لتتحرك ظواهر الحياة وأشكال الأوضاع في اطارها ،

وتظل مشدودة اليها ، ولتراعي مقتضياتها في كل تصور لأوضاع الحياة ، وفي كل ارتباط يقوم في المجتمع ، وفي كل تنظيم لأحوال الناس أفرادا وجماعات في جميع الأحوال والأطوار) (١) ..

ان قيمة خاصية الثبات في العقيدة الاسلامية هي وجود الميزان الثابت الذى يرجع اليه الانسان بكل مايعرض له من مشاعر وأفكار وتصورات ، وبكل مايجد في حياته من ملابسات وظروف وارتباطات . فيزنها بهذا الميزان الثابت ليرى قربها أو بعدها من الحق والصواب ، ومن ثم يظل دائما في الدائرة المأمونة .

انها ضرورة من ضرورات صيانة النفس البشرية والحياة البشرية أن تتحرك داخل اطار ثابت وأن تدور على محور لا يدور .

" ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السماوات والأرض ومن فيهن " (٢)

(والقيمة الكبرى لهذه الخاصية هي تثبيت الأصل الذى يقوم عليه شعور المسلم وتصوره ، فتقوم عليه الحياة الاسلامية والمجتمع الاسلامي في استقرار وثبات ، مع اطلاقة الحرية للنمو الطبيعي في الأفكار والمشاعر ، وفي الأنظمة والأوضاع فلا تتجمد في قالب حديدى ميت - كالذى أرادته الكنيسة في العصور الوسطى - ولا تتفلت كذلك من كل ضابط انفلات النجم الهالك من مداره وفلكه ، كما صنعت أوربا في تاريخها الحديث .

---

١) خصائص مقومات التصور الاسلامي ومقوماته ص (٨٥ - ٨٩)

٢) سورة المؤمنون آية (٧١)

(ولعل هذه الخاصية هي التي ضمنت للمجتمع الاسلامي تماسكه وقوته مدى ألف عام . على الرغم من جميع الهزات ، ومن جميع الضربات، ومن جميع الهجمات الوحشية عليه من أعدائه المحيطين به في كل مكان .. ولم يبدأ تفككه وضعفه الا منذ أن تخلى عن هذه الخاصية في تصوره ، والا منذ أفلح أعداؤه في تنحية التوجيه الاسلامي ، واحلال التوجيهات الغربية مكانه في العالم الاسلامي) (١) ..

ثالثا ـ الشمول :

ان شمول العقيدة الاسلامية لكل تفسير عن الله والكون والحياة والانسان يعتبر من خصائص هذه العقيدة ، وطابعا يميزها عن غيرها من العقائد والتصورات ..

وتتمثل خاصية الشمول هذه في صور شتى .

(احدى هذه الصور وأكبرها ـ رد هذا الوجود كله .. بنشأته ابتداء ، وحركته بعد نشأته ، وكل انبثاقة فيه ، وكل تحور وكل تغيير وكل تطور ، والهيمنة عليه وتدبيره وتصريفه وتنسيقه .. الى ارادة الذات الالهية السرمدية الأزلية الأبدية المطلقة .. هذه الذات ، المريدة القادرة المطلقة المشيئة المبدعة لهذا الكون ، ولكل شيء فيه ولكل حي ، ولكل حركة ، وكل انبثاقة ، وكل تحور ، وكل تغير ، وكل تطور .. بقدر خاص .. وبمجرد توجه الارادة والقدرة .

(وهذا التصور ـ عن طريق خاصية الشمول في صورتها هذه ـ يملك أن يعطينا تفسيرا مفهوما لوجود هذا الكون ابتداء ثم لكل حركة فيه بعد

---

١) المصدر السابق ص (١٠٢)

ذلك وكل انبثاقة .. ويعطينا - على الأخص - تفسيرا مفهوما لانبثاق ظاهرة " الحياة " في المادة الصماء) (١)

(ان التصور الاسلامي هو - وحده - الذى يملك أن يقدم لنا تفسيرا نواجه به كل علامة استفهام عن وجود هذا الكون ابتداء ، وعن كل انبثاق تقع فيه . كما أنه هو الذى يملك أن يفسر لنا سر انبثاق الحياة في المادة الميتة ، وسر سيرتها هذه السيرة العجيبة دون أن نضطر الى الهروب من سؤال واحد ، أو الى المماحكة والمماحلة والاحالة الى جهات غير محددة المفهوم كالاحالة الى الطبيعة) (٢) ..

ونورد فيما يلي بعض النصوص القرآنية التي ترسم خاصية الشمول في صورتها هذه وهي رد كل شيء في هذا الكون الى الله وشمول ارادته وتدبيره وهيمنته وسلطانه لكل شيء .

قال تعالى : " ان ربكم الله الذى خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا ، والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ، الا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين " (٣)

" وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون ، والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم ، والقمر قدرناه منازل حتى عاد

---

١) خصائص التصور الاسلامي ص (١١٠ - ١١١)

٢) المرجع السابق ص (١١٣)

٣) سورة الأعراف آية (٥٤)

كالعرجون القديم ، لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون " (١)

" والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ، ومنهم من يمشي على رجلين ، ومنهم من يمشي على أربع ، يخلق الله مايشاء ان الله على كل شيء قدير " (٢)

" وجعلنا من الماء كل شيء حي " (٣)

" وخلق كل شيء فقدره تقديرا " (٤)

" وكل شيء عنده بمقدار " (٥)

(ان الله فالق الحب والنوى يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي ذلكم الله فأنى تؤفكون ، فالق الاصباح وجعل الليل سكنا ، والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم ، وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون . وهو الذى أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع ، قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون ، وهو الذى أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء فأخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا ، ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه ، انظروا

---

١) سورة يس آية (٣٧ - ٤٠)
٢) سورة النور آية (٤٥)
٣) سورة الأنبياء آية (٣٠)
٤) سورة الفرقان آية (٢)
٥) سورة الرعد آية (٨)

الى ثمره اذا أثمر وينعه ، ان في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون) (١)

وصورة أخرى من صور خاصية الشمول في العقيدة الاسلامية ..

فهي كما تتحدث عن حقيقة الألوهية وخصائصها وآثارها وصفاتها ، كذلك تتحدث عن حقيقة العبودية وخصائصها وصفاتها ممثلة في الكون والحياة والانسان .

" ولله يسجد من في السماوات والأرض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال . قل من رب السماوات والأرض ؟ قل الله ، قل أفاتخذتم من دونه أولياء لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا ؟ قل هل يستوى الأعمى والبصير أم هل تستوى الظلمات والنور ؟ أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم ؟ قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار " (٢)

" وله من في السماوات والأرض ، ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون ، يسبحون الليل والنهار لا يفترون " (٣)

وصورة ثالثة من صور الشمول في العقيدة الاسلامية . (فهو اذ يرد أمر الكون كله ، وأمر الحياة والأحياء ، وأمر الانسان والأشياء .. الى ارادة واحدة شاملة .. واذ يتناول الحقائق الكلية كلها . حقيقة الألوهية - الحقيقة الأولى والكبرى والأساسية - وحقيقة الكون ، وحقيقة الحياة ، وحقيقة الانسان ، يمثل ذلك الشمول الذى أشرنا اليه .. هذا التصور اذ

---

١) سورة الأنعام آية (٩٥ - ٩٩)

٢) سورة الرعد آية (١٥ - ١٦)

٣) سورة الأنبياء آية (١٩ - ٢٠)

ان يتناول الأمور على هذا النحو الشامل - بكل معاني الشمول - يخاطب الكينونة الانسانية بكل جوانبها ، وبكل أشواقها ، وبكل حاجاتها ،وبكل اتجاهاتها . ويرد ها الى جهة واحدة تتعامل معها ، جهة واحدة تملك لها كل شيء ، لأنها خالقة كل شيء ، ومالكة كل شيء ،ومدبرة كل شيء) (١)

رابعا - التوازن :

وتتمثل هذه الخاصية في عدة موازنات ، نذكر منها أبرزها (هناك التوازن بين الجانب الذى تتلقاه الكينونة الانسانية لتدركه وتسلم به وينتهي عملها فيه عند التسليم ، والجانب الذى تتلقاه لتدركه ، وتبحث حججه وبراهينه ، وتحاول معرفة علله وغاياته . .

(والفطرة البشرية تستريح لهذا ، لأن كليهما يلبي فيها جانبا أصيلا مودعا فيها . . .

(والعقيدة التي لاغيب فيها ولا مجهول ، ولا حقيقة أكبر من الادراك البشرى المحدود ، ليست عقيدة ، ولا تجد فيها النفس مايلبي فطرتها ، وأشواقها الخفية الى المجهول . .

(كما أن العقيدة التي لا شيء فيها الا المعميات التي لا تدركها العقول ليست عقيدة . . . والعقيدة الشاملة هي التي تلبي هذا الجانب وذاك ، وتتوازن بها الفطرة وهي تجد في العقيدة كفاء ما هو مودع فيها

---

(١) خصائص التصور الاسلامي ص ١٢٨

من طاقات وأشواق) (١) ..

وهناك التوازن بين طلاقة المشيئة الالهية ، وثبات السنن الكونية ، فالمشيئة الالهية طليقة لا يرد عليها قيد ما ، وليست هنالك قاعدة تلتزمها حين تريد أن تفعل ماتوئيد (انما قولنا لشيء اذا أردناه أن نقول له كن فيكون) (٢)

(قالت رب أنى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر قال كذلك الله يخلق مايشاء اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون) (٣)

" لا تدرى لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا " (٤)

(وفي الوقت ذاته شاءت الارادة الالهية المدبرة أن تتبدى للناس - عادة - في صورة نواميس مطرده ، وسنن جارية يملكون أن يرقبوها ويدركوها ويتعاملوا مع الكون على أساسها .. على أن يبقى في تصورهم ومشاعرهم أن مشيئة الله - مع هذا طليقة تبدع ما تشاء ، وان الله يفعل مايريد ، ومن ثم يوجه الله البصائر والأبصار الى تدبر سننه في الكون ، والتعامل معها ، والانتفاع بها ، والنظر في مآلاتها .

" قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين " (٥)

---

١) خصائص التصور الاسلامي ص (١٣٦ - ١٣٧)

٢) سورة النحل آية (٤٠)

٣) سورة آل عمران آية (٤٧)

٤) سورة الطلاق آية (١)

٥) سورة آل عمران آية (١٣٧)

" قال ابراهيم فان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذى كفر " (١)

" ولقد أهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا وجاءتهم رسلهم بالبينات وماكانوا ليؤمنوا كذلك نجزى القوم المجرمين " (٢)

" ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون " (٣)

(وبين ثبات السنن وطلاقة المشيئة يقف الضمير البشرى على أرض ثابتة مستقرة ، يتعرف الى نواميس الكون ، وسنن الحياة .. وفي الوقت ذاته يعيش موصول الروح بالله ، معلق القلب بمشيئته لا يستكثر عليها شيئا ، ولا يستبعد عليها شيئا ، ولا ييأس أمام ضغط الواقع أبدا) (٤) ..

والتوازن بين مجال المشيئة الالهية الطليقة ، ومجال المشيئة الانسانية المحدودة .. وهي القضية المشهورة في تاريخ الجدل في العالم كله ، وفي المعتقدات كلها باسم قضيته .

" القضاء والقدر " أو الجبر والاختيار . وقد ذكرنا القضية عند بحثنا لمقومات العقيدة الاسلامية ونضيف هنا قولنا .

(ان الاسلام يثبت للمشيئة الالهية الطلاقة ويثبت لها الفاعلية التي لا فاعلية سواها ولا معها ، وفي الوقت ذاته يثبت للمشيئة الانسانية

---

١) سورة البقرة آية (٢٥٨)

٢) سورة يونس آية (١٣)

٣) سورة الأعراف آية (٩٦)

٤) خصائص التصور الاسلامي (١٣٩ - ١٤٢)

الايجابية ويجعل للانسان الدور الأول في الأرض وخلافتها ، وهو دور ضخم يعطي الانسان مركزا ممتازا في نظام الكون كله ، ويمنحه مجالا هائلا للعمل والفاعلية والتأثير ، ولكن في توازن تام مع الاعتقاد بطلاقة المشيئة الالهية ، وتفردها بالفاعلية الحقيقية من وراء الأسباب الظاهرة .

ويقرأ الانسان في القرآن الكريم :

" ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم الا في كتاب من قبل أن نبرأها ان ذلك على الله يسير " (١) ..

" قل لن يصيبنا الا ماكتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون " (٢)

" قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم " (٣)

ويقرأ كذلك في الجانب الآخر :

" ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم " (٤)

" بل الانسان على نفسه بصيره ولو ألقى معاذيره " (٥)

" قد أفلح من زكاها ، وقد خاب من دساها " (٦)

" ومن يكسب اثما فانما يكسبه على نفسه " (٧)

---

١) سورة الحديد آية (٢٢)

٢) سورة التوبة آية (٥١)

٣) سورة آل عمران آية (١٥٤)

٤) سورة الرعد آية (١١)

٥) سورة القيامة آية (١٤ - ١٥)

٦) سورة الشمس آية (٩ - ١٠)

٧) سورة النساء آية (١١١)

ثم يقرأ بعد هذا وذلك :

" كلا انه تذكرة ،فمن شاء ذكره ، ومايذكرون الا أن يشاء الله هو أهل التقوى وأهل المغفرة " (١)

" أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم ان الله على كل شيء قدير ، وما أصابكم يوم التقى الجمعان فباذن الله " (٢)

(يقرأ الانسان أمثال هذه المجموعات المنوعة الثلاثة ، فيدرك معها سعة مفهوم " القدر " في التصور الاسلامي ، مع بيان المجال الذى تعمل فيه المشيئة الانسانية في حدود هذا القدر المحيط) (٣)

وبهذا يتم التوازن في الاعتقاد والشعور ، كما يتم التوازن في النشاط والحركة فيثير التصور الاسلامي في الضمير الرغبة في الخير والاستقامة ، وفي الحركة والفاعلية ، مع الاستعانة بالله الذى بيده كل شيء ..

والتوازن بين عبودية الانسان المطلقة لله ، ومقام الانسان الكريم في الكون ، وقد سلمت العقيدة الاسلامية في هذا الصدد من كل الهزات والأرجحيات التي انتابت المذاهب والمعتقدات والفلسفات .. مابين تأليه للانسان في صوره الكثيرة ، وتحقير الانسان الى حد الزراية والمهانة .

---

١) سورة المدثر آية (٥٤ - ٥٦)

٢) سورة آل عمران آية (١٦٥ - ١٦٦)

٣) خصائص التصور الاسلامي ص (١٤٣ - ١٤٥)

فالانسان - في العقيدة الاسلامية - يكون في أرفع مقاماته وفي خير حالاته حين يحقق مقام العبودية لله ، اذ أنه في هذه الحالة يكون في أقوم حالات فطرته ، وأحسن حالات كماله ، وأصدق حالات وجوده .

(ومن ثم فانه لا تعارض - في التصور الاسلامي - بين رفعة الانسان وعظمته وكرامته وفاعليته ، وبين عبوديته لله - سبحانه - وتفرد الله بالألوهية وبخصائصها جميعا .

(ولا حاجة اذن - عندما يراد رفع الانسان وتكريمه - أن تخلع عنه عبوديته لله ، أو تضاف الى ناسوتيته لاهويته ليست له كما احتاج رؤساء الكنيسة والمجامع المقدسة أن يفعلوا ليعظموا عيسى - عليه السلام - ويكبروه .

" لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم .. ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام " (١) ..

كذلك لا حاجة الى تصغير الله - سبحانه - وتعالى - كلما أريد تعظيم الانسان ، واعلان رفعة مقامه في الأرض ، وسيطرته وفاعليته كما فعلت الأساطير الاغريقية والعبرانية وغيرها .. تلك التي صورت العداء قائم ومزمن بين الانسان والاله .

" كبرت كلمة تخرج من أفواههم ان يقولون الا كذبا " (٢)

---

١) سورة المائدة آية (٣٣ - ٣٧)

٢) سورة الكهف آية (٥)

(والتوازن في علاقة العبد بربه بين موحيات الخوف والرهبة وموحيات الأمن والطمأنينة .

ويقرأ المسلم في كتاب الله الكريم من صفات ربه مايخلع القلوب ، ويزلزل الفرائض ويهز الكيان .

" واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه اليه تحشرون " (١)

" يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور " (٢)

" ولقد خلقنا الانسان ونعلم ماتوسوس به نفسه ونحن أقرب اليه من حبل الوريد " (٣)

" ان بطش ربك لشديد " (٤)

" والله عزيز ذو انتقام " (٥)

ويقرأ المسلم كذلك من صفات ربه مايملأ قلبه طمأنينة وراحة ، وروحه أنسا وقربا ، ونفسه رجاء وأملا .

" واذا سألك عبادى عني فاني قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان" (٦)

" وماكان الله ليضيع ايمانكم ان الله بالناس لرؤوف رحيم " (٧)

---

١) سورة الأنفال آية (٢٤)

٢) سورة غافر آية (١٩)

٣) سورة ق آية (١٦)

٤) سورة البروج آية (١٢)

٥) سورة آل عمران آية (٤)

٦) سورة البقرة آية (١٨٦)

٧) سورة البقرة آية (١٤٣)

" يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفا " (١)

" ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا " (٢)

" وهو الغفور الودود " (٣)

" والله رؤوف بالعباد " (٤)

"(ومن هذا وذاك يقع التوازن في الضمير بين الخوف والطمع ، والرهبة والانس ، والفزع والطمأنينة ، ويسير الانسان في حياته يقطع الطريق الى الله ، ثابت الخطوة ، مفتوح العين ، حي القلب ، موصول الأمل ، حذرا من المزالق ، لا يستهتر ولا يستهين ، ولا يغفل ولا ينسى ، وهو في الوقت ذاته شاعر برعاية الله وعونه ، ورحمة الله وفضله ، وان الله لا يريد به السوء ، ولا يود له العنت ، ولا يوقعه في الخطيئة ليتشفى منه ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا) (٥)

وهناك ألوان شتى من هذا التوازن الذى سلمت به العقيدة الاسلامية من جميع الأرجحات ، وجميع التقلبات التي صاحبت الفكر البشرى كلما انحرف عن منهج الله ..

---

١) سورة النساء آية (٢٨)

٢) سورة مريم آية (٩٦)

٣) سورة البروج آية (١٤)

٤) سورة البقرة آية (٢٠٧)

٥) خصائص التصور الاسلامي (١٥٤ - ١٦٢)

خامسا - الايجابيـة :

والمقصود بالايجابية هنا .. الايجابية الفاعلة في علاقة الله سبحانه بالكون والحياة والانسان ، والايجابية الفاعلة كذلك من ناحية الانسان ذاته في حدود المجال الانساني ..

(ان الصفات الالهية في التصور الاسلامي ليست صفات سلبية . وان الانسان - في التصور الاسلامي يتعامل مع اله موجود ، خالق ، مدبر ، مريد ، مهيمن ، قادر ، فعال لما يريد .. كامل الايجابية والفاعلية .. اليه يرجع الأمر كله ، ولا يتم في هذا الكون شيء الا بارادته وعلمه وتقديره وتدبيره ، وهو - سبحانه - مباشر بارادته وعلمه وتدبيره لكل عبد من عباده ، في كل حال من أحواله ، ولكل حي ولكي شيء في هذا الوجود كذلك.

" وما كان الله ليعجزه من شيء في السماوات ولا في الأرض ، انه كان عليما قديرا " (١)

" ان ربكم الله الذى خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش ، يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا ، والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره الا له الخلق والأمر ، تبارك الله رب العالمين "(٢)

" يمحو الله مايشاء ويثبت وعنده أم الكتاب " (٣) ..

---

١) سورة فاطر آية (٤٤)

٢) سورة الأعراف آية (٥٤)

٣) سورة الرعد آية (٣٩)

" لله ملك السماوات والأرض يخلق مايشاء ، يهب لمن يشاء اناثا ، ويهب لمن يشاء الذكور ، أو يزوجهم ذكرانا واناثا ويجعل من يشاء عقيما " (١)

" وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو ، وان يمسسك بخير فهو على كل شيء قدير " (٢) ...

(مايكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ، ولا خمسة الا هو سادسهم ، ولا أدنى من ذلك ولا أكثر الا هو معهم أينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة ، ان الله بكل شيء عليم) (٣) ..

(ان هذه الايجابية في علاقة الله - سبحانه - بخلائقه كلها هي مفرق الطريق بين العقيدة الجدية المؤثرة ، والعقيدة الصورية السلبية .

(وتصور الانسان لالهه ، وتعلق صفاته بالحياة الانسانية ، هو الذى يحدد قيمة هذا الاله في نفسه ، كما يحدد نوع استجابته لهذا الاله .

(وفرق كبير بين الانسان الذى يتصور أن الهه لا يحفل به ، ولا يحس بوجوده - أو لا يعلم بوجوده أصلا كما يقول بعض الفلاسفة - والانسان الذى يحس ويعلم أن الله هو خالقه ورازقه ، ومالك أمره كله في الدنيا والآخرة ..

(وفرق كذلك بين الذى يتعامل مع الهين متنازعين - كما يقول الفرس - أو مع آلهة متفرقة كما تقول الوثنيات الأخرى ، والذى يتعامل

---

١) سورة الشورى آية (٤٩ - ٥٠)

٢) سورة الأنعام آية (١٧)

٣) سورة المجادلة آية (٧)

مع اله واحد ، له ارادة واحدة ومنهج واحد ..

(وفرق كذلك بين الذى يتعامل مع اله شهواني ، متعجرف ، ظالم ، متهور ، متقلب الأهواء كاله الاغريق - بزعمهم - الذى كانوا يصورونه حقودا لدودا مشغولا بشهوات الطعام والغرام ، لا يبالي من شؤون الأرباب والمخلوقات الا مايعينه على حفظ سلطانه ، والتمادى في طغيانه ..

(فرق بين الذى يتعامل مع اله كهذا ويستمد منه أخلاقه ، والذى يتعامل مع " الله " العادل ، الكريم ، الرحيم ، الذى يكره الفواحش ماظهر منها ومابطن ، وينهى عن السوء ، ويحب التوابين ، ويحب المتطهرين) (١) ..

(وأخيرا .. فهنالك فارق هائل بين الانسان الذى يظن أن الهه هو " الطبيعة " الخرساء الصماء ، التي لا تطالبه بعقيدة ولا شعيرة ولا منهج ولا نظام حياة ولا خلق ولا أدب ، ولا ضمير ولا سلوك . ولا تحس بوجوده أصلا ، وليس لها وعي ادراك ابتداء . ومن ثم فهي لا تحس ولا تعي ولا تدرى بخير أو شر ، ولا تحاسب من ثم - على خير أو شر ..

والانسان الذى يعرف أن الهه " الله " الحي الذى لا يموت ، الصمد المقصود في الحاجات ، الرقيب الذى لا يغفل ، الحسيب الذى لا ينسى ، العادل الذى لا يظلم ، الرحيم الذى يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ... الى آخر صفات الله وأسمائه الحسنى ..

---

١) خصائص التصور الاسلامي ص (١٧٢ - ١٧٨)

(ولقد عنى الاسلام عناية بالغة بتقرير هذه الحقيقة في تصور المسلمين وتوكيدها وتقرير " وجود " الله سبحانه في حياتهم وتوسيعه وتعميقه .. وكانت حياة الجماعة المسلمة الأولى مثلا حيا وترجمة عملية لهذه الحقيقة .. فقد رأينا يد الله - سبحانه - تتدخل جهرة ، وعينه تلحظ ، وسمعه يرعى ، أحوالهم اليومية ، وأعمالهم الشخصية ، وحياتهم الفردية والجماعية) (١)

لقد شهدنا العناية الالهية تتدخل علانية في شأن أسرة صغيرة فقيرة مغمورة لتقرر حكم الله في قضية بين امرأة وزوجها ، حين لم يجد الرسول صلى الله عليه وسلم - فيها رأيا .

" لقد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي الى الله ، والله يسمع تحاوركما ان الله سميع بصير " (٢) ..

كما شهدناها في شأن الرجل الأعمى الفقير عبد الله ابن ام مكتوم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم - في هذه الصورة الرائعة .

" عبس وتولى ، أن جاءه الأعمى ، ومايدريك لعله يزكى ، أو يذكر فتنفعه الذكرى ، أما من استغنى ، فأنت له تصدى ، وماعليك الا يزكى ، وأما من جاءك يسعى وهو يخشى فأنت عنه تلهى ؟ كلا ، انها تذكرة ، فمن شاء ذكره " (٣) ..

وشهدنا هذا التدخل في الأحداث الكبرى سواء سواء .

---

١) خصائص التصور الاسلامي ص (١٧٩)

٢) سورة المجادلة آية (١)

٣) سورة عبس آية (١ - ١٢)

شهدناه في الهجرة وفي " بدر " وفي " أحد " ، وفي " الخندق " وفي كل موقف من مواقف المسلمين الكبرى (١) .

والصفة الأخرى للايجابية في العقيدة الاسلامية .. هي ايجابية الانسان في الكون ، وايجابية المؤمن بهذه العقيدة في واقع الحياة على وجه خاص .

(أن التصور الاسلامي مايكاد يستقر في الضمير حتى يتحرك ليحقق مدلوله في صورة عملية ، وليترجم ذاته في حالة واقعية ، والمؤمن بهذا الدين مايكاد الايمان يستقر في ضميره حتى يحس أنه قوة فاعلة مؤثرة ، فاعلة في ذات نفسه وفي الكون من حوله .

(ان التصور الاسلامي ليس تصورا سلبيا يعيش في عالم الضمير ، قانعا بوجوده هناك في صورة مثالية نظرية . أو تصوفية روحانية انما هو " تصميم " لواقع مطلوب انشاؤه وفق هذا التصميم . وطالما هذا الواقع لم يوجد فلا قيمة لذلك التصميم في ذاته الا باعتباره حافزا لا يهدأ لتحقيق ذاته) (٢) .

هذا ما تثيره العقيدة في شعور المسلم فيهب للعمل الايجابي البناء ، ويفرغ طاقته الايمانية كلها في انشاء واقع تتمثل فيه هذه العقيدة في حياة الناس ..

وحيثما ذكر الايمان في القرآن أو ذكر المؤمنون ، ذكر العمل ، الذى هو الترجمة الواقعية للايمان .

---

١) يراجع كتاب " خصائص التصور الاسلامي " ص (١٨٠ - ١٨٤)

٢) المصدر السابق ص (١٨٤ - ١٨٥) .

" وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا " (١) ..

" كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله " (٢)

(وفي طبيعة التصور الاسلامي ذاته ما يحفز الانسان لمحاولة الحركة الايجابية لتحقيق هذا المنهج في صورة واقعية . فالمسلم يعرف أن الانسان قوة ايجابية فاعلة في هذه الأرض ، وأنه ليس عاملا سلبيا في نظامها ، فهو مخلوق ابتداء ليستخلف فيها ، لينشيء ويعمر ، وليغير ويطور ، وليصلح وينمي) (٣) ..

والكون كله مسخر له بأمر الله .

" وسخر لكم الليل والنهار ، والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ، ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون ، وماذرأ لكم في الأرض مختلفا ألوانه ، ان في ذلك لآية لقوم يذكرون ، وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا ، وتستخرجوا منه حلية تلبسونها ، وترى الفلك مواخر فيه ، ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ، وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم وأنهارا وسبلا لعلكم تهتدون ، وعلامات وبالنجم يهتدون " (٤)

---

١) سورة النور آية (٥٥)
٢) سورة آل عمران آية (١١٠)
٣) خصائص التصور الاسلامي ص (١٨٨)
٤) سورة النحل آية (١٢ - ١٦)

بهذا كله يستشعر المسلم أن وجوده على الأرض يقتضيه حركة وعمــــلا ايجابيا في ذات نفسه ، وفي الآخرين من حوله ، وفي هذه الأرض التـــي هو مستخلف فيها ، وفي هذا الكون المحسوب حسابه في تصميمه ..

سادسا ـ الواقعيـة :

ونقصد بتعبير الواقعية ، التحقق في عالم الواقع . فالتصور الـذى تنشئه العقيدة الاسلامية يتعامل مع الحقائق الموضوعية ، ذات الوجـود الحقيقي والأثر الواقعي الايجابي ، لا مع تصورات عقلية مجردة ، ولا مـع " مثاليات " لا مقابل لها في عالم الواقع ..

أولا وجود لها في عالم الواقع .

(انه يتعامل مع الحقيقة الالهية متمثلة في آثارها الايجابية ، وفاعليتها الواقعية ...

ويتعامل مع الحقيقة الكونية متمثلة في مشاهدها المحسوسة .. ويتعامـل مع الحقيقة الانسانية متمثلة في الاناس كما هم في عالم الواقع) (١) ...

فالاله الذى يتعامل معه المسلم اله " موجود " ، " مريـد " ، فعال لما يريد " تدل حركة هذا الكون ومايجرى فيه على اراداته وقدرته ، وهو متفرد بالألوهية ، وبكل خصائص الألوهية ، ولكن هذه الخصائص كلها من عالم الواقع ، ذات أثر في عالم الواقع ، يمكن ادراك آثارها الواقعية .

" ومن آياته أن خلقكم من تراب اذا أنتم بشر تنتشرون ، ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها ، وجعل بينكم مودة ورحمـة ، ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ، ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم ، ان في ذلك لآيات للعالمين .

---

١) خصائص التصور الاسلامي ص (١٩٢)

" ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله ، ان في ذلك لآيات لقوم يسمعون ، ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا وينزل من السماء ماء فيحي به الأرض بعد موتها ،ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون " (١)

(ومن ثم يفترق تصور الاله في الاسلام افتراقا رئيسيا عنه في تصورات أفلاطون وأرسطو وأفلوطين ، حيث تتعامل تصوراتهم مع اله " مثالي " يفرضون هم عليه " مثاليته " من صنع عقولهم ، ومن تصورات أحلامهم ، وهو اله لا ارادة له ولا عمل ، لأن هذا من مقتضى كماله أو مثاليته " (٢)

(وكذلك الحال في تعامل الاسلام مع هذا الكون .. فهو كون واقعي ممثل في أجرام وأبعاد وحركات وآثار وقوى وطاقات .. لا مع الكون الذى هو " فكرة " مجردة عن الشكل والقالب ، أو هو " صورة " أو " مثال " في العقل المطلق ، أو هو " هيولي " ومادة غير مشكلة ، أو هو " الطبيعة " الخالقة التي تطبع الحقائق في العقل البشرى ،.. الى آخر هذه الأسماء التي أوجدتها عقول البشر والتي ليس لها مدلولات " واقعية " يتعامل معها الانسان " (٣)

الكون في التصور الاسلامي هو هذه الخلائق التي أبدعها الله ،وقال لها كوني فكانت ، والتي هي خاضعة لله ، عابدة له ، مسخرة لأمره مذللة للانسان بأمر الله .

---

١) سورة الروم آية (٢٠ - ٢٤)

٢) خصائص التصورالاسلامي ص (١٩٥)

٣) يراجع المصدر السابق ص (١٩٩ - ٢٠٠)

" والله جعل لكم مما خلق ظلالا ، وجعل لكم من الجبال أكنانا" (١)

" ألم تر أن الله سخر لكم مافي الأرض ، والفلك تجرى في البحر بأمره ، ويمسك السماء أن تقع على الأرض الا باذنه ، ان الله بالناس لرؤوف رحيم" (٢)

وكذلك يتعامل التصور الذى تنشئه العقيدة الاسلامية مع الانسان ، مع هذا الانسان الواقعي ، الممثل في هؤلاء البشر كما هم ، من لحم ودم وأعصاب ، وعقل ونفس وروح ... الانسان ذى النوازع والأشواق ، والرغائب والضرورات .. الى أخر سمات الانسان الواقعي ، وصفاته المميزة ..

انه لا يتعامل مع " الانسانية " كمعنى مجرد ، ولا يتخذها الها يتوجه اليه بالعبادة ، ولا يتعامل مع " العقل المطلق ككائن مشخص لان العقل المطلق ليست له كينونة واقعية ، انما هناك العقل المفرد ، في كل فرد على حدة ، ومن ثم فليس هو الذى يخلق الكون او يخلق الروح كما يرى بعض الفلاسفة والمفكرين " (٣)

---

١) سورة النحل آية (٨١)

٢) سورة الحج آية (٦٥)

٣) يراجع " خصائص التصور الاسلامي (ص ٢٠٤ - ٢٠٧)

الفصل الثالث

أثر العقيدة في الفرد والمجتمع

أثر العقيدة في الفرد والمجتمع :

لعل أبرز آثار العقيدة في حياة الانسان هي مايلي :

١ - تحرير الانسان من العبودية لغير الله والخضوع لسواه ،فعقيدة الاسلام هي عقيدة التحرر المطلق من العبودية للعبيد .

فلا عبودية الا لله ، ولا طاعة الا لله ،ولا تلقي الا عن الله .

" قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ، ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله"(١)

انها كلمة سواء يقف أمها الجميع على مستوى واحد ، لا يعلو بعضهم على بعض ، ولا يتعبد بعضهم بعضا ، فالناس كلهم لآدم وآدم من تراب ، ولا فضل لعربي على أعجمي ، ولا لأبيض على أسود الا بالتقوى " ان أكرمكم عند الله أتقاكم " .

لقد جاءت عقيدة الاسلام لتنقذ الانسان من الاستعباد والاستبداد الذى كان يزاوله كل من تهيأ له قدر من السلطان .

(فقد كانت القدرة على الظلم قرينة بمعنى العزة والجاه في عرف السيد والمسود من أمراء الجزيرة العربية من أقصاها في الجنوب الى أقصاها في الشمال .وما كان الشاعر النجاشى الا قادحا مبالغا في القدح حين استضعف مهجوه ، لأن :

قبيلته لا يغدرون بذمة ولا يظلمون الناس حبة خردل

(وما كان حجر ابن الحارث الا ملكا عربيا حين سام بني أسد أن

---

١) سورة آل عمران آية (٦٤)

يستعبدهم بالعصا وتوسل اليه شاعرهم عبيد بن الأبرص حيث يقول :

أنت الملك فوقهم وهم العبيد الى القيامة

ذلوا لسوطك مثلما ذل الأشيقر ذو الخزامة

(وكان عمرو بن هند ملكا عربيا حين عود الناس أن يخاطبهم من وراء ستار ، وحين استكثر على سادة القبائل أن تأنف أمهاتهم من خدمته في داره .

(وكان النعمان بن المنذر ملكا عربيا حين بلغ به العسف أن يتخذ لنفسه يوما ، للرضى يفرق فيه النعم على كل قادم اليه خبط عشواء ، ويوما للغضب يقتل فيه كل طالع عليه من الصباح الى المساء .

(وقد قيل عن عزه كليب وائل ، انه سمي بذلك لأنه كان يرمي الكليب حيث يعجبه الصيد ، فلا يجسر أحد على الدنو من مكان يسمع فيه نباحه . وقيل : " لا حر بوادى عوف " لأنه من عزته كان لا يأوى بواديه من يملك حرية في جواره ، فكلهم أحرار في حكم العبيد) (١)

ثم جاء الاسلام بعقيدته الواضحة الناصعة ليجعل الناس كلهم سواسية كأسنان المشط لا يستعبد بعضهم بعضا ، ولا يعلو أحد على أحد .. ولما وقع بين أبي ذر الغفارى وبلال بن رباح - رضي الله عنهما - ما أفلت معه لسان أبي ذر بكلمة " يا ابن السوداء " .. غضب لها رسول الله صلى الله عليه وسلم غضبا شديدا وألقاها في وجه أبي ذر عنيفة مخيفة .

" يا أبا ذر طف الصاع ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل "

---

١) من كتاب " حقائق الاسلام وأباطيل خصومه " للاستاذ العقاد ص (٢٠٤ - ٢٠٥) .

نعم لقد سوى الاسلام بين الناس ، وارتفع بهم الى المستوى اللائق لكرامة الانسان ، وأنقذهم من وحل العبودية لغير الله ، ولولاه لظلوا غارقين فيه الى الأذقان ، لقد جاءت عقيدة الاسلام لتحرر الانسان من عقدة الخوف من غير الله والخضوع لسواه .

ولتعلن أن أى مخلوق لا يملك لمخلوق آخر ضرا ولا نفعا ، (وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو ، وان يردك بخير فلا راد لفضله ، يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم) (١)

لقد كانت فرائص العربي - قبل الاسلام - ترتعد خوفا عند ذكر رستم وجيش فارس ، فاذا بهذا العربي - بعد الاسلام - يتحدى رستم وجيشه ، ويدخل وقد تمكنت العقيدة من فؤاده - على مجلس رستم وهو بين أعوانه وحاشيته وقد خضعوا له راكعين أو ساجدين وحوله النمارق والزخارف

يدخل ذلك العربي البسيط الذى كان بالأمس يخشى صولة رستم وبطشه ، فاذا به اليوم - بعد أن خالطت بشاشة الايمان قلبه - يستهين برستم وحاشيته ، ويزدرى زخرفه ونمارقه ، يدخل راكبا على فرسه حتى يدوس به على طرف البساط ثم ينزل ويربط فرسه بأحد أعمدة المكان ، ثم يقبل على رستم حاملا سلاحه حتى يجلس بجانب رستم وعلى فراشه ، فيسرع من كان في المجلس اليه فينزلوه فيقول لهم : دعوني ، لقد بلغتنا عنكم الأحلام ، ولكني لا أرى قوما أسفه منكم ، وان ملكا يقوم على هذا لا يدوم ، ثم يسأله رستم ، ما الذى جاء بكم ؟ فيقول : الله ابتعثنا لنخرج من

---

١) سورة يونس آية (١٠٧)

شاء من عبادة العباد الى عبادة الله وحده ، ومن جور الأديان الى عدل الاسلام ، ومن ضيق الدنيا الى سعة الدنيا والآخرة .

هكذا تحررت النفوس من الخضوع لغير الله والخوف من سواه وهكذا تفعل العقيدة في نفس معتنقها فيتحول من حال الى حال ، ويوقن أن غير الله لا يملك ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا .

٢ - شعور النفس بالثقة والسكينة والطمأنينة ، وما يخلو قلب من رصيد العقيدة والايمان الا اجتاحه القلق والاضطراب واستبد به الأسى والشقاء .

" ان رصيد الايمان هو أكرم رصيد وأقومه في حياة البشرية ، انه رصيد من الهدى والنور ، ومن الثقة والطمأنينة ، ومن الرضى والسعادة ، ومن المعرفة واليقين وما يخلو قلب بشرى من هذا الرصيد حتى يجتاحه القلق والظلام ، وتعمره الوساوس والشكوك ، ويستبد به الأسى والشقاء ، ثم يروح يتخبط في ظلماء طاخيه ، لا يعرف أين يضع قدميه في التيه الكئيب وصرخات القلوب التي حرمت هذا الزاد ، وحرمت هذا الأنس ، وحرمت هذا النور ، صرخات موجعة في جميع العصور . يقول عمر الخيام :

أحس في نفسي دبيب الفناء ولم أصب في العيش الا الشقاء

ياحسرتا أن حان حيني ولم يتح لفكرى حل لغز القضاء

تروح أيامي ولا تفتدى كما تهب الريح في الفدفد

وماطويت النفس هما على يومين - أمس المنقضى والغد

غدا بظهر الغيب واليوم لي وكم يخيب الظن في المقبل

ولست بالغافل حتى أرى جمال دنياى ولا أجتلى
سأنتجي الموت حثيث الورود وينمحي اسمي من سجل الوجود
هات اسقنيها يامنى خاطرى فغاية الأيام طول الهجود (١)

ان صاحب العقيدة وثيق الصلة بالله ، يحس دائما أن الله معه يعينه ويرعاه : " الله ولي الذين آمنوا " (٢)
ومن كان الله وليه فلا ييأس ولا يحزن " لا تحزن ان الله معنا " (٣)
" انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون " (٤)

٣ - الاحساس الدائم بمراقبة الله تعالى ، وهذا من درجات الايمان العالية ، وهي درجة الاحسان التي عرّفها رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث الشريف : " أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك " ..

ومراقبة الله توقظ الضمير ، وتشجع على الخير ، وتنهى عن الشر ، وتجعل الانسان نظيف القلب ، نظيف الفكر ، نظيف الشعور ، نظيف العمل .. لأنه يعلم أن الله مطلع عليه في حركته وسكونه ، في عمله وقوله : " ان الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء " (٥)

---

١) في ظلال القرآن ج ٣ ص ٥٠٣ لسيد قطب رحمه الله .
٢) سورة البقرة آية (٢٥٧)
٣) سورة التوبة آية (٤٠)
٤) سورة يوسف آية (٨٧)
٥) سورة آل عمران آية (٥)

وشعور المؤمن بأن عين الله ـ سبحانه ـ على نيته وضميره ، وعلى حركته وعمله .. يثير في حسه مشاعر حية متنوعة ، شعور التقوى والتحرج أن يهجس في خاطره هاجس رياء أو تظاهر ، وهاجس شح أو بخل وهاجس خوف من الفقر أو الغبن ، وشعور الاطمئنان على الجزاء والثقة بالوفاء .

٤ ـ الاعتقاد الجازم بأن الله ـ وحده ـ هو الرزاق وأنه ـ وحده هو المنعم الوهاب " الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر " (١) وفي السماء رزقكم وما توعدون ، فورب السماء والأرض انه لحق مثلما أنكم تنطقون " (٢) .

وحين يدرك المؤمن هذه الحقيقة ينطلق قلبه من اسار الأسباب الظاهرة في الأرض ، ويستيقن أن هذه الأسباب ليست هي التي ترزقه ، فرزقه مقدر في السماء ، وما وعده الله لابد أن يكون ..

(روى الأصمعي نادرة ذكرها الزمخشرى في الكشاف ، ونسوقها نحن لطرافتها ـ في تحفظ من جانب الرواية ـ قال : " أقبلت من جامع البصرة ، فطلع اعرابي على قعود له ، فقال : ممن الرجل ؟ قلت : من بني أصمع . قال : من أين أقبلت ؟ قلت : من موضع يتلى فيه كلام الرحمان ، فقال : اتل عليّ ، فتلوت : " والذاريات " .. فلما بلغت قوله تعالى :

---

١) سورة الرعد آية (٢٦)

٢) سورة الذاريات آية (٢٢ - ٢٣)

" وفي السماء رزقكم وما توعدون " قال : حسبك ، فقام الى ناقته فنحرها ووزعها على من أقبل وأدبر ، وعمد الى سيفه وقوسه فكسرهما وولى ، فلما حججت مع الرشيد طفقت أطوف فاذا أنا بمن يهتف بي بصوت دقيق ، فالتفت فاذا أنا بالاعرابي قد نحل واصفر فسلم عليّ واستقرأ السورة ، فلما بلغت الآية صاح وقال : قد وجدنا ماوعدنا ربنا حقا (١)

٥ - ومع الاعتقاد بأن الله - وحده - هو الرزاق ، وأن الرزق لايسوقه حرص حريص ، ولا يرده كراهية كاره ..

مع هذا كله فان العقيدة تقرر في نفس صاحبها أن الله سبحانه هو المالك أيضا لهذا الكون بما فيه ومن فيه " له مافي السماوات وما في الأرض " (٢)

وهذه الحقيقة التي تنشئها العقيدة الاسلامية لها أثر كبير في حياة الانسان على ظهر هذه الأرض (فان مجرد استقراره هذه الحقيقة في الضمير .. مجرد شعور الانسان بحقيقة المالك - سبحانه - لما في السماوات وما في الأرض .. مجرد تصور الانسان لخلو يده من ملكية أى شيء مما يقال : انه يملكه ، ورد هذه الملكية لصاحبها الذى له مافي السماوات وما في الأرض .. مجرد احساسه بأن مافي يده عارية لأمد محدود ، ثم يسترد ها صاحبها الذى أعارها له في الأجل المرسوم .. مجرد استحضار هذه الحقائق والمشاعر كفيل وحده بأن يطأ من حدة الشر والطمع ، وحدة

---

١) في ظلال القرآن ج ٢٧ ص (٥٨٢)

٢) سورة البقرة آية (٢٥٥)

الشح والحرص ، وحدة التكالب المسعور ، وكفيل كذلك بأن يسكب في النفس القناعة والرضى بما يحصل من الرزق ، والسماحة والجود بالموجود وأن يفيض على القلب الطمأنينة والقرار في الوجدان والحرمان سواء . فلا تذهب النفس حسرات على فائت أو ضائع ، ولا يتحرق القلب سعارا على المرموق المطلوب) (١)

٦ - ومن آثار العقيدة الاسلامية أنها تبعث في النفوس الشجاعة والاقدام ورغبة الاستشهاد في سبيل الله ، لأن المؤمن يعلم أن الموت والحياة بيد الله - سبحانه - " الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا " (٢)

وأن لكل انسان أجل محتوم لا يؤخر ولا يقدم : (فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) (٣)

" وماكان لنفس أن تموت الا باذن الله كتابا مؤجلا " (٤)

وانطلاقا من هذه الحقيقة التي تنشئها عقيدة الاسلام في نفوس الناس زحفت جموع المسلمين تنشر دين الله في كل مكان يمكن أن تصل اليه ، غير عابئة بالأموال والعقبات ، حاملة أرواحها على أكفها ، راغبة في نيل الشهادة في سبيل الهدف الذى خرجت من أجله ، يقول صاحب" الظلال" رحمه الله عند ذكره لغزوة بدر :

---

١) في ظلال القرآن ج ٣ ص ٤٢٠

٢) سورة الملك آية (٢)

٣) سورة النحل آية (٦١)

٤) سورة آل عمران آية (١٤٥)

" ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الناس فحرضهم وقال : (والذى نفسي بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابرا محتسبا مقبلا غير مدبر الا أدخله الله الجنة . فقال عمير بن الحمام وفي يده تمرات يأكلهن : بخ بخ أفما بيني وبين أن أدخل الجنة الا أن يقتلني هؤلاء ؟ ثم قذف التمرات من يده ، وأخذ سيفه فقاتل القوم حتى قتل رحمه الله تعالى .

" قال ابن اسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة : أن عوف ابن الحارث قال : يارسول الله ، مايضحك الرب من عبده ؟ قال : غمسه يده في العدو حاسرا ، فنزع درعا كانت عليه فقذفها ثم أخذ سيفه فقاتل القوم حتى قتل رحمه الله) (١)

٧ - أثر الايمان بالملائكة في حياة الفرد :

والايمان بالملائكة له آثاره الايجابية في حياة المسلم فالذى يستشعر بقلبه وجود الملائكة ويؤمن برقابتهم وكتابتهم لأعماله وأقواله ، واحصائهم لكل مايصدر عنه من قول أو عمل : قليل كان أم كثير ، عظيم أم حقير ، لا شك أن من يشعر هذا يظل دائم الاستقامة على أمر الله يخشى أن يعصي الله في سره وعلانيته كما أن الايمان بالملائكة يمنح المسلم الصبر ومواصلة الجهاد في سبيل الله عندما يوقن أن الملائكة تقاتل معه جنبا الى جنب .

قال تعالى : " اذ يوحي ربك الى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق

---

١) في ظلال القرآن ج ٩ ص (٧٧٩)

واضربوا منهم كل بنان " (١)

واخيرا (ان الايمان بالملائكة طرف من الايمان بالغيب ، وهو حقيقة غيبية لا سبيل للادراك البشرى أن يعرفها بذاته ، بوسائله الحسية والعقلية المهيأة له .. بينما كيانه مفطور على الشوق الى معرفة شيء من تلك الحقائق الغيبية ومن ثم شاءت رحمة الله بالانسان - وهو العليم بتكوينه وأشواقه ومايصلح له ويصلحه أن يمده بطرف من الحقائق الغيبية هذه ويعينه على تمثلها - ولو كانت أدواته الذاتية قاصرة عن الوصول اليها - وبذلك يريحه من العناء ومن تبديد الطاقة في محاولة الوصول الى تلك الحقائق التي لا يصلح كيانه وفطرته بدون معرفتها ، ولا يطمئن باله ولا يقر قراره قبل الحصول عليها : بدليل أن الذين أرادوا أن يتحدوا على فطرتهم ، فينفوا حقائق الغيب من حياتهم استبدت ببعضهم خرافات وأوهام مضحكة ، أو اضطربت عقولهم وأعصابهم وامتلأت بالعقد والانحرافات ،

(وفضلا على ذلك كله فان الايمان بحقيقة الملائكة يوسع آفاق الشعور الانساني بالوجود ، فلا تنكمش صورة الكون في تصور المؤمن حتى تقتصر على ماتدركه حواسه - وهو ضئيل - كما أنه يؤنس قلبه بهذه الأرواح المؤمنة من حوله ، تشاركه ايمانه بربه ، وتستغفر له ، وتكون في عونه على الخير - باذن الله - وهو شعور لطيف ندى مؤنس ولا شك) (٢)

---

١) سورة الأنفال آية (١٢)

٢) في ظلال القرآن ج ٣ ص ٥٠١ - ٥٠٢

٨ - أثر الايمان باليوم الأخر في حياة الفرد :

(ان التصديق بيوم الدين شطر الايمان ،وهو ذو أثر حاسم في منهج الحياة شعورا وسلوكا ، والميزان في يد المصدق بيوم الدين غير الميزان في يد المكذب بهذا اليوم أو المستريب فيه ، ميزان الحياة والقيم والأعمال والأحداث ، المصدق بيوم الدين يعمل وهو ناظر لميزان السماء لا لميزان الأرض ، ولحساب الأخرة لا لحساب الدنيا ، ويتقبل الأحداث خيرها وشرها وفي حسابه أنها مقدمات نتائجها هناك ،فيضيف اليها النتائج المرتقبة حين يزنها ويقومها .. والمكذب بيوم الدين يحسب كل شيء بحسب مايقع له منه في هذه الحياة القصيرة المحدودة ، ويتحرك وحدوده هي حدود هذه الأرض وحدود هذا العمر ، ومن ثم يتغير حسابه وتختلف نتائج موازينه ، وينتهي الى نتائج خاطئة فوق ماينحصر في مساحة من المكان ومساحة من الزمان محدودة .. وهو بائس مسكين معذب قلق لأن مايقع في هذا الشطر من الحياة الذى يحصر فيه تأملاته وحساباته وتقديراته ، قد لا يكون مطمئنا ولا مريحا ولا عادلا ولا معقولا ، مالم يضف اليه حساب الشطر الآخر وهو أكبر وأطول ، ومن ثم يشقى به من لا يحسب حساب الآخرة أو يشقي غيره من حوله . ولا تستقيم له حياة رفيعة لا يجد جزاءها في هذه الأرض واضحا .. ومن ثم كان التصديق باليوم الآخر شطر الايمان الذى يقوم عليه منهج الحياة في الاسلام) (١) ..

ان الايمان بحقيقة اليوم الآخر تهذب أخلاق الناس ، وتوقظ

---

١) في ظلال القرآن ج ٢٩ ص ٢٨٣ .

ضمائرهم وتفتح على الخير أرواحهم ، وتقوى على الصلاح نفوسهم ، وتثبت على الحق قلوبهم ، فيزول الفهم والجشع والحرص على شهوات الحياة الدنيا ، والتهافت على متاعها ، والتفاخر بزينتها ..

ولا تعود الحياة كما كانت في نظر المشركين حركة لا علة لها ولا هدف ولا غاية .. أرحام تدفع ، وقبور تبلغ .. وبين هاتين لهو ولعب ، وزينة وتفاخر ، ومتاع قريب من متاع الحيوان .. لقد أصبح الأمر مختلف جدا بعد الايمان :

(فالناس لم يخلقوا عبثا ، ولن يتركوا سدى ، والذى قدر حياتهم ذلك التقدير الذى وضحته آيات القرآن الكريم ، ونسق حياتهم مع الكون الذى يعيشون فيه ذلك التنسيق ، لا يمكن أن يدعهم يعيشون سدى ، ويموتون هملا :

ويصلحون في الأرض أو يفسدون ثم يذهبون في التراب ضياعا ويهتدون في الحياة أ (يضلون ثم يلقون مصيرا واحدا ويعدلون في الأرض أو يظلمون ثم يذهب العدل والظلم جميعا .

(ان هنالك يوما للحكم والفرقان والفصل في كل ماكان ، وهو اليوم المرسوم الموعود الموقوت بأجل عند الله معلوم محدود : " ان يوم الفصل كان ميقاتا) (١) ، (٢)

---

١) سورة النبأ آية (١٧)

٢) في ظلال القرآن ج ٣ ص ٤٣٢ - ٤٣٣

٩ - أثر الايمان بالقدر في حياة الفرد :

ان الايمان بقضاء الله وقدره يسكب في نفس المؤمن طمأنينة وأمانا ، ويبعث في روحه الخير والعطاء ويدفعه الى السعي والعمل والكسب الحلال ، ويبث فيه الشجاعة والتضحية والاقدام .

ان المؤمن بقدر الله يشعر أن كل شيء ، كل صغير وكل كبير ، كل ناطق وكل صامت ، كل متحرك وكل ساكن كل ماضي وكل حاضر ، كل معلوم وكل مجهول ؟ كل شيء انما خلق بقدر :

قال تعالى : " انا كل شيء خلقناه بقدر " (١)

ولقد وصل العلم الحديث الى أطراف من هذه الحقيقة التي تحملها كلمات هذه الآية الكريمة القليلة العدد الكبيرة المعنى .. ولما كان مجال البحث هنا لا يتسع للتفصيل فاننا نحيل هنا بعض ماذكره الاستاذ عبد الرزاق نوفل :

(.. وكل حي مزود بالخصائص والوسائل التي يحصل بها على طعامه ، والتي ينتفع معها بهذا اللون من الطعام .. الانسان والحيوان والطير وأدنا أنواع الأحياء سواء ..

(البويضة بعد تلقيحها بالحيوان المنوى تلصق بالرحم . وهي مزودة بخاصية أكالة تمزق جدار الرحم حولها وتحوله الى بركة من الدم المناسب لامتصاصها ونموها : والحبل السرى الذى يربط الجنين بأمه ليتغذى منها حتى يتم وضعه روعي في تكوينه مايحقق الغرض الذى تكون

---

١) سورة القمر آية (٤٩)

من أجله دون اطالة قد تسبب تخمر الغذاء فيه ، أو قصر يودى الى اندفاع الغذاء اليه بما قد يوءذيه) ..

(.. والثدى يفرز في نهاية الحمل وبدء الوضع سائلا أبيض مائلا الى الاصفراء ، ومن عجيب صنع الله أن هذا السائل عبارة عن مواد كيماوية ذائبة تقي الطفل من عدوى الأمراض ، وفي اليوم التالي للميلاد يبدأ اللبن في التكوين ، ومن تدبير المدبر الأعظم أن يزداد مقدار اللبن الذى يفرزه الثدى يوما بعد يوم حتى يصل الى حوالي لتر ونصف في اليوم بعد سنة ، بينما لا تزيد كميته في الأيام الأولى على بضع أوقيات .

ولا يقف الاعجاز عند كمية اللبن التي تزيد على حسب زيادة الطفل ، بل ان تركيب اللبن كذلك تتغير مكوناته - وتتركز مواده ، فهو يكاد يكون ماء به القليل من النشويات والسكريات في أول الأمر ثم تتركز مكوناته فتزيد نسبته النشوية والسكرية والدهنية فترة بعد أخرى بل يوما بعد يوم بما يوافق أنسجة وأجهزة الطفل المستمر النمو) ..

(وتتبع الأجهزة المختلفة في تكوين الانسان ووظائفها بطريقة عملها ودوركل منها في المحافظة على حياته وصحته .. يكشف عن العجب والعجاب في دقة التقدير وكمال التدبير .. ويرينا يد الله وهي تدبر أمر كل فرد بل كل عضو ، بل كل خلية من خلاياه ، وعين الله عليه تكلوءه وترعاه) ..

وعجائب الحياة في النبات لا تقل في اثارة العجب والدهشة عن عجائبها في الانسان والحيوان والطير ، والتقدير فيها لا يقل ظهورا وبرزوا عنه في تلك الأحياء . " وخلق كل شيء فقدره تقديرا " (١)

(١) الله والعلم الحديث ص ٤٧ - ٤٨ لعبد الرزاق نوفل .

(على أن الأمر أعظم من هذا كله وأشمل في التقدير والتدبير ، ان حركة هذا الكون كله بأحداثها ووقائعها وتياراتها مقدرة مدبرة صغيرها وكبيرها ،كل حركة في التاريخ ككل انفعال في نفس فرد ، ككل نفس يخرج من صدر : ان هذا النّفس مقدر في وقته ، مقدر في مكانه ،مقدر في ظروفه كلها ، مرتبط بنظام الوجود وحركة الكون ، محسوب حسابه في التناسق الكوني كالأحداث العظام الضخام :

وهذا العود البرى الثابت وحده هناك في الصحراء ، انه هو الآخر قائم هناك بقدر ، وهو يؤدى وظيفة ترتبط بالوجود كله منذ كان : وهذه النطة السارية ، وهذه الهباءة الطائرة ، وهذه الخلية السابحة في الماء ، كالافلاك والاجرام الهائلة سواء : (تقدير في الزمان ، وتقدير في المكان ، وتقدير في الصورة ، وتناسق مطلق بين جميع الملابسات والأحوال ..

(.. انه قدر الله وراء طرف الخيط البعيد ، لكل حادث ، ولكل نشأة ولكل مصير ، ووراء كل نقطة ، وكل خطوة ، وكل تبديل أو تغيير .

(انه قدر الله النافذ ، الشامل الدقيق ، العميق ، وأحيانا يرى البشر طرف الخيط القريب ولا يرون طرقه البعيدة ، وأحيانا يتطاول الزمن بين المبدأ أو المصير في عمرهم القصير ، فتخفى عليهم حكمة التدبير ، فيستعجلون ويقترحون ، وقد يسخطون أو يتطاولون :

(والله يعلمهم في هذا القرآن أن كل شيء بقدر ليسلموا الأمر لصاحب الأمر ، وتطمئن قلوبهم وتستريح ، ويسيروا مع قدر الله في

توافق وفي تناسق ، وفي أنس بصحبه القدر في خطوة المطمئن الثابت الوثيق) (١)

يقول ربنا - سبحانه - : " ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم الا في كتاب من قبل أن نبرأها ان ذلك على الله يسير . لكيلا تأسوا على مافاتكم ولا تفرحوا بما أتاكم والله لا يحب كل مختال فخور " (٢)

فما أحوج الأمة المسلمة اليوم الى الايمان بحقيقة القدر فلا نجد فيها المتذللون الذين يركعون لغير الله خوفا على مصالحهم ، ولا الجبناء الذين يصعقوا لمجرد أن يتخيلوا عدوهم ..

(نحن بحاجة الى ايمان يحيي الأمة من جديد ، ويبعث فيهم الحركة والتضحية في سبيل الله ، وينبت في قلوبهم حب الله والصبر على البلاء والمحن ، والسعي للخلاص من كل كابوس جثم على صدرها ، ويجعلها تنهض نهضة اسلامية مبنية على العقيدة العلمية الراسخة ، التي تحطم الشهوات والمغريات ، وتنشيء الأمن والاطمئنان والسلام ، وتعيد للمجتمع الاسلامي مجده السابق واستمرار قيادته وانتشار دعوته حتى يكون خير أمة أخرجت للناس) (٣)

---

١) في ظلال القرآن ج ٢٧ ص ٦٦٤ - ٦٦٦

٢) سورة الحديد آية (٢٢ - ٢٣)

٣) الاسلام كما فهمت (محمد القاسمي) ص (٢٨٦)

أثر العقيدة في المجتمع :

لعلنا لا نخطيء اذا قلنا : ان الحياة بلا عقيدة كالسفينة بلا ربان ، فكما أن وظيفة الربان هي قيادة السفينة وتوجيهها والتحكم في سيرها وضبط مسارها .. كذلك فان وظيفة العقيدة في الحياة هي التوجيه والضبط والقيادة والتحكم في مسار عجلات الحياة حتى تصل نهايتها المقدرة لها بخير وسلام ..

وكما أن السفينة التي فقدت ربانها تتعرض للاضطراب والضياع ثم الغرق والهلاك ، فكذلك الحال في المجتمعات التي تستغني عن العقيدة والايمان انها لابد أن تتعرض للشقاء والقلق والاضطراب ، وفي النهاية الى الضياع والدمار ..

والذى ينظر الى تاريخ المجتمعات البشرية قديما وحديثا يدرك بوضوح أن المجتمع الذى تمثلت فيه عقيدة التوحيد بنقائها وصفائها - مجتمع خير يسود فيه الأمان والاطمئنان والرقي والسلام .. وأن المجتمع الذى يعيش بلا عقيدة من الله أو يعتمد في حياته على عقائد فاسدة متفسخة صنعتها الأهواء والعقول القاصرة .. تسود فيه حياة القلق والحيرة والشقاء والخراب .

ويكفي - في هذا المجال - أن نستعرض طرفا من الحياة الجاهلية التي كانت تسود المجتمع العربي قبل الاسلام للدلالة على صحة مانقول :

يقول جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه وهو يحدث نجاشي الحبشة :

(أيها الملك ، كنا قوما أهل جاهلية ، نعبد الأصنام ، ونأكل

الميتة ونأتي الفواحش ، ونقطع الأرحام ونسيء الجوار ، ويأكل القوى منا الضعيف .. فكنا على ذلك حتى بعث الله الينا رسولا منا ، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه ، فدعانا الى الله وحده لنوحده ونعبده ، ونخلع ماكنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان ، وأمرنا بصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وصلة الرحم ، وحسن الجوار ، والكف عن المحارم والدماء ونهانا عن الفواحش ، وقول الزور ، وأكل مال اليتيم ، وقذف المحصنات ، وأمرنا أن نعبد الله ولا نشرك به شيئا ، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام (١)

ويقول الاستاذ أبو الحسن الندوى في كتابه القيم : " ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين " :

" وكانت المرأة في المجتمع الجاهلي عرضة غبن وحيف تؤكل حقوقها وتبتز أموالها ، وتحرم من ارثها ، وتعضل بعد الطلاق أو وفاة الزوج من أن تنكح زوجا ترضاه ، وتورث كما يورث المتاع أو الدابة ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان الرجل اذا مات أبوه أو حميه فهو أحق بامرأته ان شاء أمسكها أو يحبسها حتى تفتدى بصداقها ، أو تموت فيذهب بمالها .

" وقد بلغت كراهة البنات الى حد الوأد ، فمنهم من كان يئد البنات لمزيد الغيرة ومخافة لحوق العار بهم من أجلهن ، ومنهم من كان يئد من البنات من كانت زرقاء أو شيماء أو برشاء أو كسحاء تشاؤما منهم

---

١) في ظلال القرآن ج ٤ ص ١٢٩

بهذه الصفات ومنهم من كان يقتل أولاده خشية الانفاق وخوف الفقر) (١)

ويلخص الاستاذ أبو الحسن الندوى في كتابه المذكور لوثة الشرك والوثنية الهابطة الساذجة التي كانت سائدة في الجزيرة العربية قبل الاسلام فيقول :

" انغمست الأمة في الوثنية وعبادة الأصنام بأبشع أشكالها فكان لكل قبيلة أو ناحية أو مدينة صنم خاص ، بل كان لكل بيت صنم خصوصي ، قال الكلبي : كان لأهل كل دار من مكة صنم من دارهم يعبدونه . فاذا أراد أحدهم السفر كان آخر مايصنع في منزله أن يتمسح به ، واذا قدم من سفره كان أول مايصنع اذا دخل منزله أن يتمسح به أيضا . .

واستهترت العرب في عبادة الأصنام ، فمنهم من اتخذ بيتا ، ومنهم من اتخذ صنما ، ومن لم يقدر عليه ولا على بناء بيت نصب حجرا أمام الحرم وأمام غيره مما استحسن ثم طاف به كطوافة بالبيت وسموها الأنصاب ، وكان في جوف الكعبة وفي فنائها ثلاثمائة وستون صنما ، وتدرجوا من عبادة الأصنام والأوثان الى عبادة جنس الحجارة ، روى البخارى عن أبي رجاء العطاردى قال : كنا نعبد الحجر فاذا وجدنا حجرا هو خيرا منه ألقيناه وأخذنا الآخر ، فاذا لم نجد حجرا جمعنا حثوه من تراب ، ثم جئنا بالشاة فحلبنا عليه ثم طفنا به ، وقال الكلبي : كان الرجل اذا سافر فنزل منزلا أخذ أربعة أحجار فنظر الى أحسنها فاتخذه ربا ، وجعل ثلاث أثافي لقدره ، واذا ارتحل تركه .

---

١) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين لأبي الحسن الندوى ص ٦٨-٦٩

" وكان للعرب - شأن كل أمة مشركة في كل زمان ومكان - آلهة شتى من الملائكة والجن والكواكب ، فكانوا يعتقدون أن الملائكة بنات الله فيتخذونهم شفعاء لهم عند الله ، ويعبدونهم ويتوسلون بهم عند الله ، واتخذوا كذلك من الجن شركاء لله ، وآمنوا بقدرتهم وتأثيرهم وعبدوهم .

وكانت حمير تعبد الشمس ، وكنانة القمر ، وتميم الدبران ، ولخم وجذام المشترى وطي سهيلا ، وقيس الشعرى وأسد عطاردا .

أما عن الثارات القبلية التي كانت تشغل اهتمامات المجتمع العربي قبل الاسلام فيقول الاستاذ الندوى في مصدره السابق :

" هانت عليهم الحرب واراقة الدماء حتى كانت تثيرها حادثة ليست بذات خطر فحرب داحس والغبراء ماكان سببها الا أن داحسا فرس قيس بن زهير ، كان سابقا في رهان بين قيس بن زهير وحذيفة ابن بدر ، فعارضه أسدي بايعاز من حذيفة فلطم وجهه وشغله ففاتته الخيل ، وتلا ذلك قتل ، ثم أخذ بالثأر ، ونصر القبائل لأبنائها ، وأسر ، ونزع للقبائل ، وقتل في ذلك ألوف من الناس " (١)

" وكانت ذلك علامة فراغ الحياة من الاهتمامات الكبيرة التي تشغلهم عن تفريغ الطاقة في هذه الملابسات الصغيرة ، اذ لم تكن لهم رسالة للحياة ولا فكرة للبشرية ، ولا دور للانسانية ، يشغلهم عن هذا

ولم تكن هناك عقيدة تطهرهم من هذه الأرجاس الاجتماعية الذميمة ..

وماذا يكون الناس من غير عقيدة الهية ؟ ماذا تكون اهتماماتهم ؟ وماذا

---

١) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ص ٦٣ - ٦٤ وحتى ٧٠ - ٧١

تكون تصوراتهم ؟ وماذا تكون أخلاقهم " (١) .

وما أن سرت عقيدة الاسلام في هذا المجتمع ، وانتشرت في أرجاء الجزيرة العربية حتى تحول المجتمع العربي من حال الى حال ، ومن طور الى طور .

نعم " لقد نقل الاسلام العرب من طور القبيلة ، واهتمامات القبيلة ، وثارات القبيلة ، لا ليكونوا أمة فحسب ، ولكن ليكونوا - على حين فجأة ومن غير تمهيد يتدخل فيه الزمن - أمة تقود البشرية ، وترسم لها مثلها ، ومناهج حياتها ، وأنظمتها كذلك في صورة غير معهودة في تاريخ البشرية الطويل " (٢)

لقد فعلت العقيدة الاسلامية في نفوس العرب أعظم انقلاب عرفته البشرية في التاريخ ومنحتهم وجودهم القومي ، ووجودهم السياسي ، ووجودهم الدولي .. وقبل كل شيء وأهم من كل شيء .. وجودهم الانساني .

لقد كانت عقيدة الاسلام هي " بطاقة الشخصية ، التي تقدم بها العرب للعالم فعرفهم ، واحترمهم ، وسلمهم القيادة .

" وهم اليوم وغدا لا يحملون الا هذه البطاقة ، ليست لهم رسالة غيرها يتعرفون بها الى العالم ، وهم اما أن يحملوها فتعرفهم البشرية وتكرمهم ، واما أن ينبذوها فيعودوا هملا - كما كانوا ، لا يعرفهم أحد ، ولا يعترف بهم أحد " (٣) .

واذا كانت المجتمعات البشرية - قبل الاسلام - قد ذاقت الشقاء

---

١) في ظلال القرآن ج ٤ ص ١٣٤

٢) في ظلال القرآن ج ٤ ص ١٣٥ - ١٣٦

٣) في ظلال القرآن ج ٤ ص ١٣٦

والخواب لشرودها عن الايمان بالله ، فكذلك الحال نفسه في المجتمعات الحديثة التي فرغت حياتها من العقيدة ، وخوت قلوب الناس فيها من طمأنينة الايمان وبشاشته وزاده وريه ..

(وحسبنا مثل واحد مما يقع في بلد أوربي من أرقى بلاد العالم كله ، وهو " السويد " حيث يخص الفرد الواحد من الدخل القومي مايساوى خمسمائة جنيه في العام ، وحيث يستحق كل فرد نصيبه من التأمين الصحي وأعانات المرض التي تصرف نقدا ، والعلاج المجاني في المستشفيات ، وحيث التعليم في جميع مراحله بالمجان مع تقديم اعانات : ملابس وقروض للطلبة المتفوقين ، وحيث تقدم الدولة ثلاثمائة جنيه اعانة زواج لتأثيث البيوت .. وحيث وحيث من ذلك الرخاء المادى والحضارى العجيب ..

ولكن ماذا ؟ ماذا وراء هذا الرخاء المادى والحضارى وخلو القلوب من الايمان بالله ؟

انه شعب مهدد بالانقراض ، فالنسل في تناقص مستمر بسبب فوضى الاختلاط والطلاق بمعدل واحد لكل ست زيجات بسبب انطلاق النزوات وتبرج الفتن وحرية الاختلاط ، والجيل الجديد ينحرف فيدمن على المسكرات والمخدرات ليعوض خواء الروح من الايمان وطمأنينة القلب بالعقيدة والأمراض النفسية والعصبية والشذوذ بأنواعه تفترس عشرات الالاف من النفوس والأرواح والأعصاب . ثم الانتحار)

والحال كهذا في أمريكا .. والحال أشنع من هذا في روسيا) (١)

---

(١) في ظلال القرآن ج ٢ ص ٣٠٥

(ويقول أطباء السويد : ان ٥٠ في المئة من مرضاهم يعانون من اضطرابات عقلية تلازم أمراضهم الجسدية ، ولا شك أن التمادى في التمتع بحرية عدم الايمان سيضاعف هذه الانحرافات النفسية ، ويزيد من دواعي تفكك الأسرة ، ويقربهم الى هوة انقراض النسل) (١) ..

(والحال في أمريكا لا تقل عن هذه الحال : لقد وجد الذين يبيعون أسرار أمريكا وبريطانيا العسكرية لأعدائهم ، لا لأنهم في حاجة الى المال ولكن لأن بهم شذوذا جنسيا ناشئا من آثار الفوضى الجنسية السائدة في المجتمع .

وقد وضع البوليس الامريكي يده على عصابة ضخمة ذات فروع في مدن شتى مؤلفة من المحامين والأطباء مهمتها مساعدة الأزواج والزوجات على الطلاق بايجاد الزوج او الزوجة في حالة تلبس بالزنا ، وذلك لأن بعض الولايات لا تزال تشترط هذا الشرط لقبول توقيع الطلاق .

كذلك من المعروف أن هناك مكاتب مهمتها البحث عن الزوجات الهاربات والبحث عن الأزواج الهاربين ، وذلك في مجتمع لا يدرى فيه الزوج ان كان سيعود فيجد زوجته في الدار أم يجدها قد طارت مع عشيق ، ولا تدرى الزوجة ان كان زوجها الذى خرج في الصباح سيعود اليها أم ستخطفه أخرى أجمل منها أو أشد جاذبية ، مجتمع تعيش البيوت فيه مثل هذا القلق الذى لا يدع عصبا يستريح ..

وأخيرا يعلن رئيس الولايات المتحدة (جون كيندى) أن ستة

---

١) في ظلال القرآن ج ٥ ص ٢٣١

من كل سبعة من شباب أمريكا لم يعودوا يصلحون للجندية بسبب الانحلال الخلقي الذى يعيشون فيه) (١)

وقد كتبت احدى المجلات الأمريكية منذ أكثر من ربع قرن تقول :

(عوامل شيطانية ثلاثة يحيط ثالوثها بدنيانا اليوم ، وهي جميعها في تسعير سعير لأهل الأرض ، أولها : الأدب الفاحش الخليع الذى لا يفتأ يزداد في وقاحته ؛

والثاني : الأفلام السينمائية التي لا تذكي في الناس عواطف الحب الشهواني فحسب ؛ بل تلقنهم دروسا عملية في بابه ؛

والثالث : انحطاط المستوى الخلقي في عامة النساء ؛ الذى يظهر في ملابسهن ، بل في عريهن ، وفي اكثارهن من التدخين ، واختلاطهن بالرجال بلا قيد ولا التزام .. هذه المفاسد الثلاثة الى الزيادة والانتشار بتوالي الأيام . ولا بد أن يكون مآلها زوال الحضارة والاجتماع النصرانيين وفناءهما آخر الأمر) (٢)

هذا طرف مما تتكلفه البشرية الضالة ، في جاهليتها الحديثة من جراء بعدها عن الايمان بالله ، وعدم استنادها الى عقيدة الهية توجه مسارها ، وتضبط حياتها ، وتنظم علاقاتها .

أما عن مجتمع العقيدة والايمان (فان المجتمع حين يستجيب لدعوة الايمان يدخل في عالم كله مسلم وكله سلام ، عالم كله ثقة واطمئنان ، وكله

---

١) في ظلال القرآن ج ٥ ص ٢٣١ - ٢٣٢

٢) كتاب " الحجاب " لأبي الأعلى المودودى ص ١٢٩ - ١٣٠

رضى واستقرار لا حيرة ولا قلق ، ولا شرور ولا ضلال ، سلام مع النفس والضمير ، سلام مع العقل والمنطق ، سلام مع الناس والأحياء ، سلام مع الوجود كله ومع كل موجود سلام يرف من حنايا السريره ، وسلام يظلل الحياة والمجتمع ، سلام في الأرض وسلام في السماء) (١)

ان العقيدة التي تقف صاحبها أمام النبتة الصغيرة وهي توحي اليه أن له أجرا حين يرويها من عطش ، وحين يعينها على النماء ، وحين يزيل من طريقها العقبات .. هي عقيدة جميلة فوق أنها عقيدة كريمة ، عقيدة تسكب السلام ، وتشيع الأمن والرفق والحب والسلام (٢) .

والمجتمع الذى ينشأ في ظل هذه العقيدة الجميلة الكريمة لا شك أنه مجتمع يشيع السلم وينشر روح السلام .

انه المجتمع الذى تربط آصرة واحدة هي آصرة العقيدة حيث تذوب فيها الأجناس والأوطان ، واللغات والألوان ، وسائر هذه الأواصر العرضية التي لا علاقة لها بجوهر الانسان .

(انه المجتمع الذى يسمع الله يقول له : " انما المؤمنون اخوة " (٣)

والذى يرى صورته في قول النبي الكريم : " مثل المؤمنين في توادهم وتعاطفهم وتراحمهم مثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى " (٤)

---

١) في ظلال القرآن ، ٢ ص ٢٩٨ - ٢٩٩

٢) في ظلال القرآن ج ٢ ص ٣٠٠

٣) سورة الحجرات آية (١٠)

٤) رواه أحمد ص ٢٧٠ جـ ٤

انه المجتمع الذى من آدابه : " واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها) (١) . " ولا تصعر خدك للناس لا تمشي في الأرض مرحا ان الله لا يحب كل مختال فخور " (٢)

(انه المجتمع الذى من ضماناته : " يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على مافعلتم نادمين" (٣)

يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم ولا تجسسوا " (٤)

" يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها " (٥) .. " كل المسلم على المسلم حرام : دمه وماله وعرضه " (٦) .

(انه المجتمع الذى لا تشيع فيه الفاحشة ولا يتبجج فيه الاغراء ، ولا تروج فيه الفتنة ، ولا ينتشر فيه التبرج ، ولا تتلفت فيه الأعين على العورات ولا ترف فيه الشهوات على الحرمات ، ولا ينطلق فيه سعار الجنس وعرامة اللحم والدم كما تنطلق في المجتمعات الجاهلية قديما وحديثا .

---

١) سورة النساء آية (٨٦)
٢) سورة لقمان آية (١٨)
٣) سورة الحجرات آية (٦)
٤) سورة الحجرات آية (١٢)
٥) سورة النور آية (٢٧)
٦) رواه مسلم ص ١٢١ ج ١٦

(انه المجتمع الذى يقول الله له : " قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم ، ان الله خبير بما يصنعون ، وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ، ولا يبدين زينتهن الا ماظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن " (١) ..

(وفي مثل هذا المجتمع تأمن الزوجة على زوجها ، ويأمن الزوج على زوجته ويأمن الأولياء على حرماتهم وأعراضهم ، ويأمن الجميع على أعصابهم وقلوبهم حيث لا تقع العيون على المحارم ولا تقود العيون القلوب الى المفاتن . فأما الخيانة المتبادلة حينذاك وأما الرغائب المكبوتة ، وأمراض النفوس وقلق الأعصاب .. بينما المجتمع المسلم النظيف العفيف آمن ساكن ، ترف عليه أجنحة السلم والطهر والأمان .

و وأخيرا انه ذلك المجتمع الذى يكفل لكل قادر عملا ورزقا ، ولكل عاجز ضمانة للعيش الكريم ، ولكل راغب في العفة والحصانة ، زوجة صالحة .. والذى يعتبر أهل كل حي مسؤولين مسؤولية جنائية لو مات فيهم جائع حتى ليرى بعض فقهاء الاسلام تغريمهم بالدية .

(والمجتمع الذى تكفل فيه حريات الناس وكراماتهم وحرماتهم وأموالهم فلا يؤخذ واحد فيه بالظنة ، ولا يتسور على أحد بيته ، ولا يتجسس على أحد فيه متجسس ، ولا يذهب فيه دم هدرا والقصاص حاضر ، ولا يضيع فيه على أحد ماله سرقة أو نهبا والحدود حاضرة . (المجتمع الذى يقوم على الشورى والنصح والتعاون ، كما يقوم على المساواة والعدالة

---

١) سورة النور آية (٣٠ - ٣١)

الصارمة التي يشعر معها كل أحد حقه منوط بحكم الله ، لا بـارادة حاكم ، ولا هوى حاشية ، ولا قرابة كبير .

(وفي النهاية .. المجتمع الوحيد بين سائر المجتمعات البشرية الذى لا يخضع البشر فيه للبشر ، انما يخضعون حاكمين ومحكومين لله ولشريعته وينفذون حاكمين ومحكومين حكم الله وشريعته ، فيقف الجميع على قدم المساواة الحقيقية أمام الله رب العالمين وأحكم الحاكمين في طمأنينة وفي ثقة وفي يقين) (١) ..

" يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ، ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين " (٢)

---

١) في ظلال القرآن ج ١ ص ٣٠٢ - ٣٠٤

٢) سورة البقرة آية (٢٠٨)

الفصل الرابع

عوامل زعزعة العقيدة

١- الشبهات التي يثيرها المستشرقون.

٢- الدين أفيون الشعوب.

٣- نظريات العلم الحديث.

٤- الاتجاه المادي ونتائجه.

أولاً :-

الشبهات التي يثيرها المستشرقون

هناك شبهات عديدة وكثيرة يثيرها أعداء الاسلام عامة والمستشرقون منهم خاصة للتشكيك في سلامة العقيدة الاسلامية ، والطعن في مقوماتها واثارة التساؤلات التي تقصد الى النيل من رسالة الاسلام ممثلة في نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

وقد كان التشكيك في حقيقة نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم هو المحور الرئيسي الذى اعتمد عليه المشركون قديما ، والمستشرقون من أعداء الاسلام حديثا لاثبات بطلان ماجاء به هذا الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام من قرآن وسنة أى بطلان الأصل الذى تقوم عليه الشريعة الاسلامية .

ولما كان الوحي في صوره المتعددة هو طريق النبوة فان أعداء الاسلام بذلوا جهدهم في اثارة الشكوك والشبهات حول حقيقة الوحي ، ونشر الأكاذيب والأباطيل والأوهام لكي تلتبس حقيقة الوحي في أذهان الناس عامة والمسلمين خاصة فتنسلخ بذلك حقيقة النبوة من عقولهم ، ويتشككون في أصل رسالة الاسلام .

لهذا كان من الضرورى أن نتعرض في بحثنا هذا لشبهة الوحي محاولين الرد عليها بايجاز واختصار :

الوحي

==========

معنى الوحي :

ايحاء الله الى انبيائه ورسله هو القاؤه اليهم مايريد أن يعلموه من المعارف الدينية ،

ويعرفه الشيخ محمد عبده بقوله : (ان الوحي عرفان يجده

الشخص من نفسه مع اليقين أنه من قبل الله بواسطة أو بغير واسطـــة ، والأول بصوت يتمثل لسمعه أو بغير صوت ، ويفرق بينه وبين الالهام بأن الالهام وجدان تستيقنه النفس وتنساق الى مايطلب على غير شعور منهـا من أين أتى ، وهو أشبه بوجدان الجوع والعطش والحزن والسرور "(١)

هذا التعريف يشمل انواع الوحي الثلاثة الواردة في قوله تعالـــى : " وماكان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب ، أو يرسل رســولا فيوحى باذنه مايشاء انه علي حكيم " (٢)

فالوحي هنا : القاء المعنى في القلب ، والكلام من وراء حجاب هو أن يسمع كلام الله من حيث لا يراه كما كلم الله موسى عليه السلام ، وأما الثالث فهو مايلقيه ملك الوحي المرسل من الله الى رسوله .

الوحي في السنة :

فصلت كتب الحديث مراتب الوحي لمحمد صلى الله عليه وسلم كمـا يلـي :

أولا : الرؤيا الصادقة :

ففي صحيح البخارى عن عائشة رضي الله عنها قالت : (أول مابدئ به رسول الله من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم ، فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح)

---

١) رسالة التوحيد ، ط ١٠ ص ١٢٥

٢) سورة الشورى آية (٥١)

ثانيا : ماكان يلقيه الملك في روعة من غير أن يراه ، كما قال عليه الصلاة والسلام : (ان روح القدس نفث في روعي أنه لن تموت نفسي حتى تستكمل رزقها ، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب ، ولا يحملنكم استبطاء الرزق على أن تطلبوه بمعصية الله ، فان ماعند الله لا يطلب الا بطاعته .

ثالثا : ماكان يأتيه مثل صلصلة الجرس .

رابعا : أن يتمثل له جبريل رجلا ، جاء في صحيح البخارى :

(ان الحارث بن هشام رضي الله عنه ، سأل الرسول صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله كيف يأتيك الوحي ؟ فقال رسول الله : أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده فيفصم عني وقد وعيت عنه ماقال ، وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فأعي مايقول) .

خامسا : رؤية الملك في صورته التي خلق بها ، فيوحي اليه ماشاء الله أن يوحيه .

سادسا : ما أوحى الله اليه به وهو فوق السموات ليلة المعراج من فرض الصلوات وغيرها .

سابعا : تكليم الله له من وراء حجاب بلا واسطة ملك كما كلم الله نبيه موسى .

افتراءات المستشرقين :

لقد تجرأ المستشرقين والكتاب من أعداء الاسلام ووصفوا الوحي الذى كان يأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه نوع من الهذيان الهستيرى ، ولكن هذا الافتراء لا يرتكز على أى أساس علمي أو واقعي كما سنبين ذلك :

١ - ان ماينسب للهيستيرا من هذيان يحدث في أثناء النوبة فاذا أفاق المريض لم يذكر شيئا مما قاله ، وهذا على عكس حالة الرسول عليه السلام فقد كان لا ينطق أثناء الوحي بشيء حتى يتم ، فيحيد كل ما القى عليه ويأمر بتدوينه .

٢ - ان الهذيان الهستيرى لا يحدث الا مصحوبا بأعراض ثقيلة من التخبط والاضطراب والصياح والعويل ، وهذا لم يحدث أبدا للرسول صلى الله عليه وسلم حتى في أثقل حالات الوحي عليه .

٣ - ان مواضيع الهذيانات الهستيرية لا تخرج عادة الا عن تصورات وهمية تناسب الأعصاب المتعبة المريضة ولم يحدث قط أن هذيان هستيرى موضوعه نشر فضيلة وارشاد وهداية . (١)

ويدعي بعض المستشرقين أيضا مثل أميل درمنغام في كتابه حياة محمد أن الوحي الهام كان يفيض من نفس النبي الموحى اليه لا من الخارج وأنه كان يلقن تلقينا .

فيقولون : نحن لا نشك في صدق محمد في خبره عما رأى وسمع ،

---

١) روح الدين الاسلامي لعفيف طباره ص ٢٠ - ٢١

انما نقول : ان منبع ذلك من نفسه ، وليس فيه شيء جاء من عالم الغيب .

وهم يحتجون في قولهم هذا بما يلي :

١ - دعوى الأخذ من بحيرى الراهب :

فهم يزعمون أن بحيرى الراهب كان معلما للرسول صلى الله عليه وسلم ومصاحبا له بعد الرسالة وأن الرسول عليه السلام حرم الخمر لأن بحيرى مات من الخمر .

وهذا الادعاء باطل فالرسول صلى الله عليه وسلم لم ير بحيرى منذ كان طفلا حينما خرج مع عمه أبو طالب ، وأخبرهم بحيرى بأنه سوف يكون له شأن وحذره من اليهود ، وليس في شيء من الروايات أنه سمع من بحيرى شيئا عن عقيدته أو دينه .

٢ - دعوى الأخذ من ورقة بن نوفل وأنه كان من متنصره العرب وأنه أحد أقارب خديجة رضي الله عنها وأنه صلى الله عليه وسلم أخذ عنه من علم أهل الكتاب والذى صح من خبر ورقة بن نوفل مارواه الشيخان في الصحيحين وغيرهما من أن خديجة اخذته صلى الله عليه وسلم الى ورقة بن نوفل عقب اخباره اياها بما رآه في الغار ، وأخبرته خبره وكان شيخا قد عمى ، ولم يلبث بعد ذلك أن توفى ، ولم ينقل أن النبي صلى الله عليه وسلم رآه بعد ذلك وأخذ منه وانما هي افتراءات وأكاذيب روجها أعداء الاسلام والمسلمين .

٣ - دعوى انتشار اليهودية والنصرانية في بلاد العرب :

وتنصر بعض فصحاء العرب بن ساعدة الأيادى ، وأمية بن أبي الصلت واشادة هؤلاء بما يسمعون من علماء أهل الكتاب عن قرب ظهور النبي الذى بشر به موسى وعيسى وغيرهما من الأنبياء .

ان هذه الدعوى باطلة كغيرها فلم يثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم سمع شيئا من هؤلاء ، واما قس فقد روى أنه مات قبل البعثة وأنه كان حنيفيا وليس نصرانيا .

٤ - دعوى أخذ الرسول صلى الله عليه وسلم من سلمان الفارسي الذى كان مجوسيا ثم تنصر .

وهذا القول باطل ، فالرسول عليه السلام لم ير سلمان الا بعد الهجرة ..

٥ - رحلة الشتاء والصيف لتجار قريش واجتماعهم بالنصارى الذين كانوا يتحدثون عن قرب ظهور نبي مرسل وأن الرسول صلى الله عليه وسلم أخذ عنهم .

وهذه الدعوى باطلة كغيرها لأن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يذهب في مثل هذه الرحلات ، ولم يذكر عنه أنه شارك قومه قبل البعثة في أحاديث مع النصارى أو أخذ عنهم مما يذكرون أو يعتقدون .

٦ - وجود خدم وعبيد من اليهود والنصارى ، وكانوا يسكنون أطراف مكة ويتحدثون بقصص عن دينهم لا تصل الى مسامع قريش ، ويعنون بذلك أن محمد عليه السلام سمع من أخبارها فتعلقت بها نفسه .

ومما يدل على بطلان قولهم وكذبهم موقف الرسول من اليهودية والنصرانية وبيان ماهم عليه من تحريف وفساد وضلال :

٧ - تصوير مجامع قريش بمكة ، وشأن محمد صلى الله عليه وسلم فيها :

فقد ذكروا أن العرب كانوا يصرفون معظم أوقاتهم في السكر والعربدة والملذات والتسرى وغير ذلك ، وانه عليه السلام لم يشاركهم لا لفقره وانما لشغفه بأن يرى ويسمع وأن يعرف لأن حرمانه من التعليم الذى كان يعلمه أندادة جعله أشد شوقا للمعرفة وتعلقا بها .

فهذا الخبر من مخترعات أعداء الاسلام فالرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن شغوفا بأن يرى مايفعله قومه من فسق وفجور ، وقد ثبت أنه لم يحضر سمرهم ولهوهم الا مرتين ألقى الله عليه النوم حتى طلعت الشمس فلم يرّولم يسمع .

٨ - موت أبناء الرسول عليه السلام وما أثاره في نفسه ، فقد ذكروا وفاة أبناء الرسول الذين يشكون في وجودهم وأن تكنيته بأبي القاسم لا تدل على وجود ولد بهذا الاسم وانه ان صح فقد ماتوا في المهد ، وان الرسول صلى الله عليه وسلم تبنى زيدا لأنه لم يستطيع الحرمان من الأولاد وأن خديجة رضي الله عنها كانت تنحر للأصنام لتخفف من حزنها وغرضهم من ذلك أن موت أبناء الرسول صلى الله عليه وسلم أثر في تفكيره وشعوره .

هذا زعم باطل فالحق أن محمد عليه السلام تبنى زيدا لأنه آثر أن يكون عبدا له على أن يعود مع والده حرا ، وأن محمدا عليه السلام لم يكن جزوعا عند موت أبنائه بل كان أصبر الصابرين .

أما السيدة خديجة رضي الله عنها وهي أعقل نساء العرب لم تنحر للأصنام ولم تتقرب اليها وهي أقرب الى الحنيفية فان لم يمنعها عقلها وفطرتها فأجدر بالرسول صلى الله عليه وسلم أن يمنعها .

٩ - زعموا أن تغلغل النصرانية في بلاد العرب أوجد فيهم حالة نفسية أدت الى زيادة التخنث .

وهذا الزعم باطل لأن الرسول صلى الله عليه وسلم نشأ منذ صباه مفكرا متأملا باحثا عن الحقيقة ، عازفا عن عادات قومه ومجالسهم ، راغبا في العزلة وقضاء الوقت في العبادة والتفكير .

لقد جعل الله روحه الكريمة كمرآة صقيلة حيل بينها وبين كل مافي العالم من تقاليد دينية ، وأعمال وراثية وعادات منكره ، الى أن تجلى الوحي الالهي بأكمل معانيه وأبلغ مبانيه .

لقد كان غرض المستشرقين أعداء الاسلام بذر الشكوك حول حقيقة القرآن الكريم ونفي أنه كلام الله موحى به الى رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم .

ولكن القرآن الكريم الذى تكفل الله بحفظه واستمراره (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون .) .. ان هذا القرآن سيبقى معجزة الاسلام الأولى ومعجزته الكبرى كذلك مهما حاول أعداؤه بالأمس أو اليوم أو غدا التشكيك فيه وصرف الناس عنه ،لقد اشتمل القرآن العظيم على العلوم الالهية الدقيقة ، وأخبر عن العلوم الغيبية ، وكان أسلوبه في الدرجة

---

(١) راجع كتاب الوحي المحمدى للشيخ محمد رشيد رضا ص ٨٧ - ١٣٣

العالية من الفصاحة والبلاغة واشتمل على أقوال المبدأ والمعاد وفنـــون الحكمة العلمية والعملية ، فكيف يستطيع محمد بن عبد الله الأمين الناشيء بين قوم أميين أن يؤلف هذا القرآن بما يحتويه من عقائد وشرائع وعلـــوم ونظريات .

(كان صلى الله عليه وسلم أميا نشأ بين أميين لا معرفة لهم بالعلـــوم فأتى بهذا القرآن الذى اشتمل على علوم الأوليين والآخرين ، وكل مـــن شك في نبوته عليه السلام فليتأمل بعده عليه السلام عن العلوم ثم لينظـــر القرآن وما ينطوى عليه من الصنائع العلمية من الالهيات والمنطقيات ، ومن شك في أن ذلك أمر الهي وتأييد رباني فقد طبع على قلبه نعوذ باللـــه من ذلك) (١)

---

١) معراج السالكين لأبي حامد الغزالي ص ٥٦

ثانيا :-

الدين أفيون الشعوب

لقد كانت عبارة " الدين أفيون الشعوب " دعوى آثمة أطلقتها اليهودية العالمية على لسان الشيوعية بقصد هدم قواعد العقيدة الدينية عامة ، والعقيدة الاسلامية خاصة ومن ثم تسهيل الطريق امام سيطرة المبادىء الشيوعية الالحادية ، فيسهل قياد الناس واستعبادهم واستعمارهم .

لقد نادى كارل ماركس ـ اليهودى ـ مؤسس المذهب الشيوعي بابعاد الدين عن حياة الناس وواقعهم ، وقال بالحرف الواحد : (ان الدين افيون الشعوب انه الأفيون الذى يخدر الشعب لتسهيل سرقته ، انه وسيلة الاخضاع الروحي كما كانت الدولة وسيلة الاخضاء الاقتصادى ، وهو أى الدين الغذاء الخادع للضعفاء لأنه يدعوهم الى احتمال المظالم ولا يزيلها) .

وهكذا يرى " ماركس " ومعه رفيقه " انجاز " ـ زعيما المذهب الشيوعي ـ أن الدين أفيون الشعوب ، وأنه وهم وخداع ووسيلة من وسائل الاخضاع الروحي .

وينكر كارل ماركس وجود أديان سماوية فيقول : " ان الدين والقانون والأخلاق من صنع الأغنياء والمثقفين لكي يضمنوا سيطرتهم على الفقراء وهم العمال والفلاحون لأن الدين يجعلهم يرضخون للظلم الواقع عليهم من هؤلاء) ..

فالدين اذن ـ في نظر ماركس ـ ليس وحيا من الله لأن الله ليس له وجود في مذهب ماركس الذى يدعي بسبق المادة على العقل .

والأنبياء ـ حسب ادعاء ماركس ـ زعماء أرادوا السيطرة على قلوب الطبقات الفقيرة من العمال والفلاحين فاخترعوا اسطورة الدين ليخضعوا

به الطبقة العاملة الفقيرة المطحونة ،

ولئن صدقت أقوال ماركس فانها تصدق على جاهلية أوربا في ذلك العصر ، وانطبقت على أوضاع العالم النصراني يوم كانت الكنيسة هي صاحبة الأمر والنهي في هذا العالم ، تؤيد رجال الاقطاع وتشاركهم ترفهم ولهوهم وتمنع العقل أن يفكر أو يتكلم ، وتقتل العالم الذى يتحدى آراءها ، وينظر الى الكون غير نظرتها ، ويأتي بقانون أو نظرية غير قوانينها ونظرياتها .

لئن صدق هذا كله فانه يصدق على أوضاع الحياة في أوربا وانطبق على الدين الذى كانت تمارسه الكنيسة وتدعو الناس اليه ،ذلك الدين الذى صنعته الكنيسة حسب أهوائها ومصالحها ، فتسترت به لحماية الاقطاع الذى كانت تمارسه جنبا الى جنب مع كبار الاقطاعيين وأصحاب المال .. بينما كان آلاف الناس يهلكون جوعا ومرضا .. واذا ماحاول الفقراء أن يحتجوا قال لهم رجال الكنيسة وسدنتها : " من ضربك على خدك الأيمن فأدر له الأيسر ومن أخذ رداءك فاترك له الثوب أيضا " .. وأمروهم بالصبر ، وزينوا لهم عظيم ثواب الصابرين .

لئن صدق هذا كله ، وانطبق ادعاء ماركس " الدين أفيون الشعوب " على ممارسات الكنيسة ورجالها ورهبانها .. فان هذا لا يمكن أن يحدث في الدين الاسلامي لأن الاسلام هو الدين الذى تكفل الله بحفظه بقوله تعالى : " انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون " (١)

---

١) سورة الحجر آية (٩)

فهو دين سليم من الانحرافات والتبدلات التي طرأت على الأديان السماوية الأخرى ، ثم ان طبيعة تعاليم هذا الدين توازن بين الروح والفكر والجسد بدون أن يطغى جانب على آخر .

ففي مجال العقل والفكر يأمر الاسلام بالنظر والتفكر والتدبير في هذا الكون بما فيه ومن فيه : " قل انظروا ماذا في السماوات والأرض " (١) ..

(ان في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب) (٢)

" ويتفكرون في خلق السماوات والأرض " (٣)

" يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات " (٤)

فهل مثل هذه التعاليم أفيون للشعوب ؟ :

وفي مجال الخير والاصلاح ونشر الحق والفضيلة يقول القرآن :

" لا خير في كثير من نجواهم الا من أمر بصدقة أو معروف اصلاح بين الناس ، ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه أجرا عظيما " (٥)

" ان أريد الا الاصلاح ما استطعت " (٦) .. " وما أريد أن أخالفكم الى ما أنهاكم عنه " (٧)

---

١) سورة آل عمران آية (١٩٠)
٢) سورة المجادلة آية (١١)
٣) سورة هود آية (٨٨)
٤) سورة يونس آية (١٠١)
٥) سورة آل عمران آية (١٩١)
٦) سورة النساء آية (١١٤)
٧) سورة هود آية (٨٨)

فهل دين هذه تعاليمه هو أفيون للشعوب ؟ :

ثم في مجال العمل والسعي للكسب الحلال يوجه القرآن المسلمين الى نبذ الكسل والتواكل ، يقول تعالى : " وأن ليس للانسان الا ماسعى " (١) " وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون " (٢) " وهزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا " (٣) .. ويقول النبي صلى الله عليه وسلم مبينا أن العمل وسيلة الرزق : (لأن يأخذ احدكم حبله فيأتي بحزمة من حطب على ظهره فيبيعها فيكف الله بها وجهه خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه) (٤)

وقال عليه الصلاة والسلام : (ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده ، وان نبي الله داود كان يأكل من عمل يده) (٥)

فهل يصدق القول على هذا الدين بأنه أفيون للشعوب :

ثم أن دينا من تعاليمه القوة والوحدة : " وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل لترهبون به عدو الله وعدوكم " (٦)

" انما المؤمنون اخوة فأصلحوا بين أخويكم " (٧)

---

١) سورة النجم آية (٣٩)

٢) سورة التوبة آية (١٠٥)

٣) سورة مريم آية (٢٥)

٤) رواه البخارى جـ ١ ص ٢٥٧

٥) رواه البخارى ج ٢ ص ٦

٦)

٧) سورة الحجرات آية (١٠ه)

ومن أحكامه محاربة للربا والدعوة الى كسب المال عن طريق البيع الحلال والوسائل المشروعة : " يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا مابقي من الربا ان كنتم مؤمنين فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وان تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون " (١) .. " وأحل الله البيع وحرم الربا " (٢) " ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا " (٣) .. " يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل " (٤)

ويأمر بالانفاق والصدقة واخراج الزكاة : " يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ماكسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ، ولستم بآخذيه الا أن تغمضوا فيه " (٥) .. " لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون " (٦) .. " ان الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما انفقوا منا ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون " (٧) .

---

١) سورة البقرة آية (٢٧٨ - ٢٧٩)

٢) سورة البقرة آية (٢٧٥)

٣) سورة النساء آية (١٠)

٤) سورة النساء آية (٢٩)

٥) سورة البقرة آية (٢٦٧)

٦) سورة آل عمران آية (٩٢)

٧) سورة البقرة آية (٢٦٢)

ان دينا هذه تعاليمه وأحكامه هل يعقل أن يكون أفيونا للشعوب ؟

وأخيرا ان دينا يجعل الناس كلهم سواسية كأسنان المشط لا فرق بين طبقة وطبقة ولا بين فئة وفئة ، وليس لغني على فقير ، ولا لأبيض على أسود فضل الا بالتقوى الناس كلهم لآدم وآدم من تراب : " يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منها رجالا كثيرا ونساء " (١) ..

ان دينا ينادى بهذه المساواة بين الناس ، ويجعل رابطة الأخوة جامعة لشمل اتباعه " انما المؤمنون اخوة " (٢)

ولا يفضل أحدا على احد الا بالتقوى والعمل الصالح .. ان دينا كهذا يستحيل أن يكون أفيونا للشعوب .

وفرق مابين ماكانت تدعو اليه الكنيسة من الصبر على الظلم وبين مادعى اليه الاسلام من دفع الظلم وعدم الرضا به .

وفي النهاية ان الاسلام يوجه أتباعه الى الأخذ بنصيبهم من الدنيا وهم في طريقهم الى الآخرة : " وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنسى نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله اليك " (٣)

فهل يتطابق هذا كله مع قول اليهودى الملحد "كارل ماركس " الدين أفيون الشعوب .

---

١) سورة النساء آية (١)
٢) سورة الحجرات آية (١٠)
٣) سورة القصص آية (٧٧)

وليس هناك في هذا المجال أبلغ من رد الله سبحانه وتعالى على هذه الدعوى الأثيمة حيث يقول في كتابه العزيز : " وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ماكنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا ، وانك لتهدى الى صراط مستقيم ؛ صراط الله الذى له مافي السماوات وما في الأرض ، ألا الى الله تصير الأمور " (١)

---

١) سورة الشورى آية (٥٢ - ٥٣)

٢ - راجع كتاب شبهات حول الاسلام للشيخ محمد قطب .

٣ - راجع آراء يهدمها الاسلام لشوقي خليل .

٤ - راجع كتاب افيون الشعوب لعباس محمود العقاد .

٥ - راجع الشيوعية والانسانية في شريعة الاسلام - عباس محمود العقاد .

٦ - راجع التضليل الاشتراكي - الدكتور صلاح الدين المنجد : ط ٣ دار الكتاب - بيروت .

٧ - اشتراكيتهم واسلامنا - بشير العوف .

ثالثاً

نظرية النشوء والارتقاء

لقد كانت نظرية النشوء والارتقاء أو مايعرف بـ " نظرية دارون " وسيلة من الوسائل الكثيرة والمهمة التي استخدمها أعداء الاسلام عامة واليهود منهم خاصة لهدم العقائد ولا سيما العقيدة الاسلامية وهي احدى الشبه القوية التي أدت الى زعزعة العقيدة في نفوس الشباب المعاصر واضعفت اعتقادهم بوجود الله سبحانه وتعالى ، وأدت بكثير منهم الى الالحاد والكفر بالله عزوجل .

وقد نشر دارون نظريته في كتابه (أصل الأنواع) الذى أصدره سنة ١٨٥٩ م ثم أيدها بكتاب آخر عنوانه : (تغير الحيوان والنبات في حال الدجن) سنة ١٨٦٨م ، ثم طبقها على الانسان في كتابه (تسلسل الانواع والانتخاب الطبيعي) سنة ١٨٧١م . وخلاصة هذه النظرية : (أن دارون اثناء الرحلة البحرية التي قام بها حول الأرض للبحث والدراسة ، وجد أن الأنواع الحية وخاصة الحيوانية منها تتشابه تشابها عميقا من حيث بنية الجسم وتتفرع أصنافا عديدة يمتاز كل صنف منها بفوارق ملائمة كل الملائمة للبيئة وتسائل كيف نفسر القرابة من جهة والتنوع من جهة أخرى ؟ وما السبب في بقاء أنواع النبات والحيوان وفي نمو الخصائص المفيدة لها ؟

فخطر له فرض موقت هو أن السبب تطور هذه الأنواع ، ولما عاد الى انجلترا وأعمل فكره قال : ان السبب هو تنازع الحيوان على القوت وان الحياة (صراع في سبيل البقاء) .

فقدر أن الأفراد الذين يكتسبون وظيفة أو عضوا ملائما لظروف حياتهم أقدر على الصراع من العاطلين من تلك الوظيفة او ذلك العضو فيحسن

الأولون نوعهم وينقرض الآخرون فهناك اذن انتخاب طبيعي يشبه الانتخاب الصناعي الا أنه خلو من القصد والنظام ، فلا يدل على علة التغير ، بل على أثره ونتيجته ، وانتهى داروين الى أن الأنواع الحالية على اختلافها يمكن أن تفسره بأصل واحد أو ببضعة أصول ثمت وتكاثرت وتنوعت في زمن مديد بمقتضى قانون الانتخاب الطبيعي أو بقاء الأصلح وهو القانون اللازم من تنازع البقاء ، وقوانين ثلاثة ثانوية :

١ - قانون الملائمة بين الحي والبيئة الخارجية ،

٢ - قانون استعمال الأعضاء أو عدم استعمالها تحت تأثير البيئة بحيث تنمو الأعضاء أو تضمر أو تظهر أعضاء جديدة تبعا للحاجة .

٣ - قانون الوراثة وهو يقضي بأن الاختلافات المكتسبة تنتقل الى الذرية على مايشاهد في الانتخاب الصناعي (١)

(أما بالنسبة للانسان فقد ترك داروين مسألة أصل الانسان معلقة في كتابه (أصل الأنواع) ولكنه عاد فرأى أن ليس هناك من موجب لاستثناء الانسان من قانون التطور وهو يصرح بذلك في كتاب (تسلسل الانسان) ويقول بأن الفرق بين الانسان والحيوان فرق بالكم أو الدرجة فقط وأن المسافة بين القوى الفكرية لحيوان من أدنى الحيوانات الفقرية والقوى الفكرية لقرد من القردة العليا أكبر من المسافة بين القوى الفكرية في القرد وبينها في الانسان .

كما يقول : ان الحيوان يكتسب الفطنة والحذر مما يعرض له من

---

١) تاريخ الفلسفة الحديثة ليوسف كرم ص ٣٥١ - ٣٥٢ ، طبعة دار المعارف بالقاهرة ١٩٦٩م

تجربة ويتحمل من ألم وأن له ذاكرة وذوقا فنيا وغريزة تعاطف ، فـــلا يسوغ نفي العقل عنه) (١)

هذه هي خلاصة نظرية دارون في التطور وهي تؤدى الى القـــول بالصدفة وانكار العناية الالهية بالمخلوقات وتؤدى أيضا الى أن الانســان قد تطور عن تطور عن القردة العليا (الشمبانزي) وقد ذكر هذا القـــول عن دارون الامام محمد جمال الدين الأفغاني حيث قال : (وقد ألــف دارون كتابا في بيان أن الانسان كان قردا ، ثم عرض له التنقيح والتهذيب في صورته بالتدريج على توالي القرون المتطاولة ، وبتأثير الفواعل الطبيعيـة الخارجية حتى ارتقى الى برزخ (أوران أوتان ثم ارتقى من تلك الصورة الى أولى مراتب الانسان كان صنف النمنم وهم آكلة لحوم البشر) وسائر الزنوج ومن هناك عرج بعض أفراده الى أفق أعلى وأرفع من أفـــــق الزنجيين فكان الانسان القوقاسي) (٢)

وقد هوجم السيد جمال الدين الأفغاني لأنه لم يفهم مذهب التطور كما أراده دارون وأن مذهب التطور عند دارون لا ينافي الايمان بالله ، وللرد على هؤلاء نسوق كلام الاستاذ يوسف كرم (وقد أخذ على دارون أن نظريته مادية الحادية والواقع أنه لم يشأ أن يستثني الانسان من قانون التطور العام أو يعلق مسألة النفس الناطقة ، وذهب الى أن الحياة النفســـية في الانسان كما في الحيوان مرتبطة بفعل الأعضاء ، وقال بدراستهـــا

---

١) تاريخ الفلسفة الحديثة ص ٣٥٣

٢) رسالة الرد على الدهريين للامام محمد جمال الدين الافغاني ص ٤٢

من الدرجات العليا على هذا الاعتبار ، وقد كان مؤمنا بالله الى وقت ظهور كتابه (أصل الأنواع) وقال في ختامه (أن الصورة الحية الأولى مخلوقة ، ثم تطور فكره شيئا فشيئا حتى أعلن أسفه لاستعماله لفظ الخلق مجاراة للرأى العام وصرح بأن الحياة لغز من الألغاز ، وأن مافي العالم من ألم يعدل بنا عن القول بعناية الهية ، وأنه هو لا يقول بالعناية ولا بالصدفة وأن الكلمة الأخيرة عنده هي أن المسألة خارجة عن نطاق العقل ، ولكن بوسع الانسان أن يؤدى واجبه) (١)

وهذا الكلام يرد على كل من قال بان دارون كان يؤمن بالله ومنهم عباس محمود العقاد حيث يقول : (اقترن مذهب التطور في النصف الأخير من القرن التاسع عشر باسمين عظيمين هما دلاس ! وشارك دارون ، وذاعت شهرة داروين بالمذهب حتى كاد أن ينسب اليه ويعرف به فيقال مذهب داروين كما يقال مذهب التطور أو مذهب النشوء والارتقاء ولقد هوجم المذهب كثيرا باسم الدين وجعله بعضهم مرادفا للالحاد والمادية ، ومع هذا لم يكن دلاس ولا داروين ملحدين معطلين فكان دلاس شديد الايمان بالله ، خامرته الشكوك في الديانة التقليدية ولم تخامره في الايمان بالله وبحكمته ، أما داروين فلم يزعم قط أن ثبوت التطور ينفي وجود الله .) (٢)

ولكن دارون كان بكلامه يجارى الرأى العام نفاقا منه والحق ماذهب اليه يوسف كرم وهو يثبت ماقاله الامام جمال الدين الأفغاني " وهكذا نرى

---

١) تاريخ الفلسفة الحديثة ص ٣٥٤ يوسف كرم .

٢) عقائد المفكرين في القرن العشرين لعباس محمود العقاد ص ٥٧

أن الفكر الاسلامي واجه نظرية التطور التي ارتبطت اساسا بالمفهوم المادى الذى استخلصه الفلاسفة من نظرية داروين ، والذى قام على أساس انكار وجود الخالق والقول بنشأة الكائنات الحية نشأة طبيعية ، ولذلك انبرى علماء الاسلام يردون على هذه النظرية ويبطلونها كما انبرى لها العلماء المنصفون من دول أوربا يبطلونها أيضا يقول كريسي موريسون : (ان نظرية التطور التي تدعى أن الانسان أصله قرد كذبها العلم الحديث لما بين النوعين من بعد شاسع ففي الانسان خواص لا توجد في القرد منها قدرته على التفكير ووجود الوحدات الاجتماعية من القبيلة والأمة والحزب والدين ، ومنها خواص بيلوجية ، وقال الاستاذ فرجو : " انه قد تبين لنا من الوقائع أن بين الانسان والقرد فرقا بعيدا فلا يمكننا أن نحكم بأن الانسان من سلالة قردا أو غيره) (١)

وقال أجاسيز : " ان التشوء لا يتم الا وفقا لخطة الهية حكيمة وأن الاصطفاء الطبيعي اذا ماحل محل الخلق الالهي فان الانسان يكون قد جرد من روحه وغدا آلة صماء ، ان الفكرة التي يعتنقها الداروينيون عن تناسل نوع جديد بواسطة نوع سابق ليست الا افتراضا اعتباطيا يتعارض على الآراء الفسيولوجية الـ (٢)

ويقول الامام جمال الدين الأفغاني في رده على داروين وعلى زعم

---

١) ص ٥٠ من كتاب مشكلات الفكر المعاصر في ضوء الاسلام : أنور الجندى .

٢) مشكلات الفكر المعاصر في ضوء الاسلام لأنور الجندى ص ٥١

داروين هذا يمكن أن يصير البرغوث فيلا بمرور القرون وكر الدهور . وأن ينقلب الفيل برغوثا كذلك .

فان سئل داروين عن الاشجار القائمة على غابات الهند ، والنباتات المتولدة من أزمان بعيدة لا يحددها التاريخ الا ظنا وأصولها تضرب في بقعة واحدة وفروعها تذهب في هواء واحد ، وعروقها تسقى بماء واحد ، فما السبب في اختلاف كل منها عن الآخر في بنيته وشكل أوراقه ، وطوله وقصره وضخامته ورقته وزهره وثمره وطعمه ورائحته وعمره ، فأى فاعل خارجي أثر فيها حتى خالف بينها مع وحدة المكان والماء والهواء ، أظن لا سبيل الى الجواب سوى العجز عنه) (١)

" وبالاختصار ، فكل من يدعي أن شكلا من الاحياء نشأ من شكل آخر ينبغي أن يثبت ذلك بالأدلة طبقة فطبقة وشكلا فشكلا باجراء تجارب موضوعية يقينية ومن ثم يرفض العلم كل تخرصات الملحدين الذين تدور مقالاتهم كلها حول اثبات أصل الانسان من أحياء منحطة صغيرة وهدفهم من ذلك نفي وجود آدم عليه السلام ومن ثم انكار الربانيات السماوية وانكار الخالق عز وجل فالمسألة التي يدور حولها الحوار والنزاع هي في النهاية مسألة العقيدة والايمان بالله وبخالق الكون والاحياء فيه ، ولهذا لاقت قضية التطور ونشوء الانسان مجالا رحبا تخطى مجال العلم اليقيني التجريبي الى متاهات الترهات والشكوك والأوهام والخرافات التي تزعمها الملحدون) (٢)

---

١) رسالة الرد على الدهريين - جمال الدين الأفغاني ص ٤٢ - ٤٣ طبعة الكرنك بالقاهرة .

٢) التصور والانسان لحسن زينو ص ١٢

وقد لخص الأستاذ محمد فريد وجدى أهم الاعتراضات على نظرية دارون فقال : (ان أكبر الاعتراضات على مذهب دارون تنحصر في ثلاثة أمور هي :

١ - عدم مشاهدة أى ارتقاء من أى نوع كان من عهد بعيد من ألوف السنين .

٢ - عدم وجود الصورة المتوسطة بين الانواع اللازمة لمذهب التسلسل كأن يوجد (مثلا) حيوان أرقى من القرود رتبة واحدة وأدنى من الانسان رتبة واحدة أيضا .

٣ - طول الزمان اللازم للترقي بين الاحياء فان عمر الأرض كما قالوا لا يكفي لاحداث كل مايرى من هذه الاشكال المختلفة) (١)

هذا ولابد - قبل ختام حديثنا عن نظرية النشوء والارتقاء وما تركته في أذهان الناس من صورة بشعة مشوهة عن اصل الانسان وحقيقته أن نستعرض نظرة الاسلام الكريمة للانسان تاركين للقارىء أن يقارن بين الصورتين ، ويوازن بين النظريتين ، ليرى أيهما أعدل وأقوم وأكرم .

لقد كرم الله الانسان وفضله على جميع مخلوقاته ، قال تعالى :

" ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا " (٢)

فالانسان مخلوق كريم على الله خلقه في أحسن تقويم .

---

١) دائرة المعارف للاستاذ محمد فريد وجدى ج ٤ ص ٣١

٢) سورة الاسراء آية (٧٠)

" لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم " (١) وصوره في أفضل صورة " وصوركم فأحسن صوركم واليه المصير " (٢) ونفخ فيه من روحه ، وأمر الملائكة الكرام بالسجود له : " اذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين ، فسجد الملائكة كلهم أجمعون " (٣)

وقد ميز الله الانسان عن سائر المخلوقات بالعلم والعقل والارادة والتفكير : " وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة " (٤)

وجعله خليفة في الأرض : " واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الأرض خليفة " (٥) وسخر له كل مافي السماوات والأرض وأسبغ عليه نعمة ظاهرة وباطنة : " وسخر لكم مافي السماوات ومافي الأرض جميعا منه " (٦)

وقد تحدث القرآن الكريم عن الانسان مبينا أصل نشأته ووظيفته ودوره ومكانته وسبب وجوده وكيف بدأ وأين ينتهي ..

ويكفي أن أول سورة نزلت من القرآن الكريم تحدثت عن الانسان

---

١) سورة التغابن آية (٣)
٢) سورة الملك آية (٢٣)
٣) سورة الجاثية آية (١٣)
٤) سورة التين آية (٤)
٥) سورة ص آية (٧١-٧٢)
٦) سورة البقرة آية (٣٠)

قال تعالى : " اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم ، الذى علم بالقلم ، علم الانسان مالم يعلم " (١)

والانسان ليس بينه وبين الله واسطة أو حجاب : " واذا سألك عبادى عني فاني قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان " (٢)

ويقول الفقيه أبو بكر العربي : " ليس لله خلق أحسن من الانسان فان الله تعالى خلقه حيا عالما قادرا متكلما سميعا بصيرا مدبرا حكيما "

ويقول ابن القيم رحمه الله : " اعلم أن الله سبحانه وتعالى اختص الانسان من بين خلقه بأن كرمه وفضله وشرفه وخلقه لنفسه ، وخلق له كل شيء وخصه من معرفته ومحبته وقربه وأكرمه بما لم يعطه غيره سخر له مافي سمواته وأرضه وما بينهما حتى ملائكته الذين هم أهل قربة استخدمهم له وجعلهم حفظة له في منامه ويقظته وظعنه واقامته وأنزل اليه وعليه كتبه وأرسل اليه وخاطبه وكلمه منه واليه فللانسان شأن ليس لسائر المخلوقات" (٣)

---

١) سورة العلق آية (١ - ٥)

٢) سورة البقرة آية (١٨٦)

٣) مدارج السالكين لابن القيم جـ ١ ص ٢١٠

رابعًا :-

الاتجاه المادى ونتائجه

الاتجاه المادى ونتائجه :

من عوامل زعزعة العقيدة المزاعم الباطلة التي روجها بعض أعداء الاسلام وهي أن الاسلام دعوة روحية بعيدة عن تلبية مطالب الحياة المادية فهو لا يناسب الواقعية الوجودية وفي مقدمة هولاء الأعداء الماديون ، الوجوديون .

أما المبشرون وأنصارهم فيتهمون الاسلام بأنه مادى أفرط في المادية وهو بعيد عن السمو الروحي الذى ينبغي أن يرقى اليه الانسان .

ان الاسلام في نظامه وأحكامه وتشريعاته برىء مما يقوله أعداء الاسلام فهو متكامل الجوانب الفكرية والنفسية والروحية والمادية مثل الانسان الذى خلقه الله من روح وعقل ونفس وجسد .

كذلك الاسلام له جوانب تعطي كل عنصر من هذه العناصر حقه حتى يتم التطابق المثالي بين عناصر الدين المكمل بعضها بعضا وبين عناصر الكائن الانساني الذى خلقه الله في أحسن تقويم : " لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم " (١) وكما خلق الله الانسان في أحسن تقويم أنزل له دينا قيما ملائما لواقعه وخلق له العقل والوجدان ليدرك هذا الدين القيم الذى فطر الناس عليه .

" فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم " (٢)

---

١) سورة التين آية (٤)

٢) سورة الروم آية (٣٠)

(والتطابق العجيب بين عناصر الاسلام وعناصر الانسان ، الـذى يبدو فيه الاسلام مفصلا تفصيلا رائعا على مقدار خصائص الانسان الفكرية والروحية والنفسية والجسدية هو الذى جعل من الاسلام صورة هذه في الوجود .

وهو الدليل المادى المستمر الذى يدل على أن الاسلام شريعة ربانية منزلة من عند الله) (١)

ان القوانين الوضعية والنظم التي من وضع البشر مهما ارتقت لا يمكن أن توافق مصالح البشر جميعا ولا يمكن أن تسعدهم في الدنيا والدين .

ان الاسلام هو دين الله الذى ارتضاه للخلق جميعا ، وهو خاتم الأديان السماوية ، قد جعله الله ملائما للبشر في كل زمان ومكان ، وهو عام ، شامل واضح ، ميسر ، سهل ، لأنه من عند الله الذى خلق البشر وجعل لهم دينا يناسب مطالبهم وحاجاتهم ونوازعهم .

" ألا يعلم من خلق ، وهو اللطيف الخبير " (٢)

(.ان الاسلام دين الفطرة فما من نظام يعالج الفطرة كما يعالجها الاسلام أو يستخلص من هذه الفطرة بعد تهذيبها وضبط ايقاعاتها مايستخلصه الاسلام . انه لا يعطي كل جانب من الانسان غذاءه فحسب ، بل يعطيه اياه بالقدر المضبوط الذى لا يجيعه ولا يتخمه ، ومن ثم ينطلق الانسان وقد أخذ حظه من الغذاء الصالح بمقاديره الصالحة نشيطا

---

١) أجنحة المكر الثلاثة عبد الرحمن حبنكة الميداني ص ٤٣٨-٤٣٩

٢) سورة الملك آية (١٣)

منتجا متحركا على الدوام ، وما من نظام يعالج النفس البشرية بهـــذه الدقة والشمول » (١)

لقد آمنت بعض النظم بالجانب المحسوس من الانسان والحيـــاة واهتمت بكل شيء مادى على الأرض : الزراعية والصناعة والبناء ، والملبس وقضاء الشهوات .

أما الروح فقد أهملتها العقيدة والاخلاق والمثل .

وكانت النتيجة أن تمتع الناس بالحياة الأرضية واستعادوا مـــن التنظيمات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والمادية .

ثم انهار كل ذلك لخلو الروح من الايمان والحياة من العقيـــدة ، وأصبحت الحياة تكالب على الشهوات وصراع دائم ودمار رهيب والبقاء للاصلح .

أما النظم الأخرى التي آمنت بالجانب الروحي من الانسان وأخذت تتعبـــد وتتنسك وتقهر الجسد ولا تلبي مطالبه لأنه في نظرها دنس ورجس أصابتهـــا السلبية الخاملة التي لا تنتج شيئا فانحرفت عن الطريق الصحيح وعن المنهج القويم وعن الخلافة التي أرادها الله بقوله :

" اني جاعل في الأرض خليفة " (٢)

انحراف اليهود الى المادة :

لقد ضل بنو اسرائيل القصد وانحرفوا عن الطريق الصحيح وتكالبـــوا على المادة وانغمسوا في الشهوات وأفرطوا في اللذات ، ولما فقدوا عـــز

---

١) مناهج التربية الاسلامية لمحمد قطب ص ٢٠

٢) سورة البقرة آية (٣٠)

الوطن وسلطان الحكم جمعوا المال بأى وسيلة حلال كانت أو حرام ليعوضوا ما فقدوا بعز المادة وسلطان المال ، فأخذوا الربا وأكلوا أموال الناس بالباطل وانتهكوا الحرمات وخفروا الذمم .

لقد طغت المادة على قلوبهم وأعمت بصائرهم فلم يعد للشفقة والرحمة مكان في قلوبهم فانتشرت الخيانة والظلم والخصومات والأحقاد وعم الخراب والفساد ، وغفلوا عن الحق وأعرضوا عنه وأصبحوا كالأنعام قال تعالى في وصفهم : (لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون) (١)

مادية اليهود والروحية المسيحية :

استسلم اليهود للمادة وغلبت عليهم قوة الشهوة والغضب وصاروا عبيدا للأهواء وللمادة .

قال تعالى فيهم :

" كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون " (٢)

فلم يكن عندهم لله ولا للروح أثر بل مالوا الى المادية المتطرفة وخضعوا لانحرافها فأرسل الله اليهم رسولا روحيا بدين روحي وهذا الرسول هو : عيسى ابن مريم عليه السلام . أرسله الله الى بني اسرائيل بالدين الروحي ليعالج الانحراف المادى في نفوسهم ويغرس الجانب الروحي ، فكان علاج

---

١) سورة الأعراف آية (١٨١)
٢) سورة المائدة آية (٧٠)

المادية البحتة بالروحية الخالصة .

ولم يتبع المسيح الا قلة وبقيت الكثرة على توغلها في المادية وصار للروحية أتباع وللمادية أتباع أكثر مما أدى الى الصراع والقتال بين الفريقين فلجأ الماديون الى المكر بعيسى وأرادوا قتله أو صلبه ولكن الله نجاه منهم حيث رفعه الى السماء قال تعالى :

" ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين " (١)

واستمر الصراع بين الفريقين حتى ظهر الاسلام وسطع نوره على البشرية جمعاء فكان الدين الذى ارتضاه الله للبشر جميعا وحفظه على مر الدهور والأزمان .

الاسلام يجمع بين المادية والروحية :

جاء الاسلام والصراع قائم بين الماديين اليهود وبين الروحيين النصارى الذين هرب منهم كثيرون الى الجبال والكهوف للتبتل والعبادة.

لقد سلك الاسلام طريقا وسطا يجمع بين المادية والروحية وجعل للقوة الروحية المكانة الرفيعة والسيطرة الكاملة والقرآن الكريم والحديث الشريف مليئان بما يدل على المادية والروحية .

قال تعالى :

" هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور " (٢)

---

١) سورة آل عمران آية (٦٤)

٢) سورة الملك آية (١٥)

" المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا " (١)

قال تعالى :

" وابتغ فيما أتاك الله الدار الأخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا " (٢)

" ان الاسلام يجمع بين الأجسام والأرواح والدنيا والآخرة والماديات والمعنويات والعقيدة والدولة .

فهو بهذا أكمل دين يصلح للانسانية جمعا ويلائم بين جميع الظروف والبيئات المختلفة ، وينبغي أن يعرف المسلمون هذا ليتخذوا من دينهم وسائل للرقي والمدنية والعمران " (٣) .

بعد أن وقع النظام النكد بين الدين والحياة في أوربا نتيجة تدهور أوضاع الكنيسة وسوء تصرفات القائمين عليها سيطر الاتجاه المادى على حياة الناس هناك ، وأصبح كل شيئ يوزن بميزان المادة ، وتدخل العقل البشرى ليحكم حسب تصوره وتصورات الكنيسة وآراء الرهبان والقساوسة ولم يعد مقبولا ما تتناقله الكتب السماوية وتعاليم الدين الا اذا وافق العقل وسلم به ورضي عنه .

ونتيجة لهذا كله سيطر الاتجاه المادى على عقول الناس وحياتهم وانتهى كل مايمت الى عالم الروح أو الخلق والمثل حتى أصبح الانسان يقوم بالدولارات كما في أمريكا أو بالالة كما في روسيا .

---

١) سورة الكهف آية (٤٦)

٢) سورة القصص آية (٧٧)

٣) مع الله - لمحمد الغزالي ص ٣٥٢

ولقد بذل أعداء الدين عامة وأعداء الاسلام خاصة جهودا متواصلة لتعميق هذا الاتجاه المادى وغرسه في النفوس في كل مكان حتى انتقلت عدوى هذا الاتجاه الى العالم الاسلامي نتيجة الاستعمار وبعد الناس عن الدين وأصبح المفهوم المادى يشكل خطرا حقيقيا على عقول الشباب والناشئة من أبناء هذا الجيل ويعمل على زعزعة العقيدة في نفوسهم وتصدع أركان الايمان في قلوبهم .

وعلى الرغم من أن الاسلام لم يقع فيما وقعت فيه الكنيسة ولم يتصرف رجاله كما تصرف رهبانها وقساوستها من محاربة العلم والعلماء كما فعلت أوربا في القرون الوسطى وانما حث على طلب العلم وجعله فرضا ، لذلك لم يترك أعداء الاسلام أبناء المسلمين ينهلون من عقيدتهم الصافية وانما حاولوا تلويثها وتعكيرها بالأفكار الدخيلة والاتجاهات السقيمة ونقل الاتجاه المادى الى حياتهم لكي يزعزعوا عقيدتهم .

لقد كان من نتائج الاتجاه المادى في البداية تطويع الشريعة لما يراه العقل ويحكم به ثم تحول الأمر الى انكار الشريعة والاعتماد على جهد العقل وحده في التقنين واستحداث الشرائع والنظم والقوانين ، ثم تعاظم الأمر وتفاقم حين أنكر المخلوق وجود الخالق وأصبح الالحاد ركيزة من ركائز كثير من الانظمة والقوانين في بلاد العالم .

ومن نتائج الاتجاه المادى أيضا تلك الدعاوى والفلسفات الباطلة التي نادى بها كل من اليهود الثلاثة :

- ماركس في علم الاقتصاد ، ودارون في أصل الانسان ، وفرويد في علم الاجتماع والأخلاق .

فقد فسر هؤلاء كل حياة الانسان في صورة مادية بحتة حتى نوازعه وميوله الفطرية وعواطفه وضعوها في قوالب مادية ثم انطلقوا منها في الشرح والتفصيل فما بقي بعد هذا مايسمى خلقا كريما أو فطرة سليمة أو دافعا شريفا أو عاطفة بريئة .. الخ .

بل كل شيء مبني على قواعد وأصول مادية ولا يمكن أن يكون شيء في الحياة مجرد عن المادة حتى قال بعضهم :

(لا اله والحياة مادة)

ولا يخفى أن كل ماذكرناه وغيره كثير مما يدور في فلك الاتجاه المادى اذا ماسرى في كيان الأمة فانه لا يلبث أن يحطم جذورها ويهز كيانها ويزلزل قواعد وجودها ويسير بها نحو الدمار والهلاك .

من أجل هذا يحاول أعداء الاسلام جاهدين نقل عدوى المادية ونتائجها الى الشباب الذين هم عماد الامة وعمودها الفقرى فاذا ماسرت هذه العدوى في عقولهم سرى الشك في نفوسهم وتزعزعت عقيدتهم ، وساروا نحو الهاوية المرسومة لهم فيسهل على عدوهم ابعادهم عن الدين والتمسك به ثم استعبادهم واستعمارهم بعد أن جردوهم من كل مقومات الايمان ودوافع الجهاد .

من أجل ذلك وجب على المسلمين في كل بقاع الأرض العودة الى كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم والعمل بكل ماجاء فيهما من عقيدة وعلم وأخلاق وأحكام وعدم الالتفات لما يبثه أعداء الاسلام من أفكار مشوهة عن الدين .

الفصل الخامس

وسائل تثبيت العقيدة

١- التربية والقدوة الحسنة .
٢- إثبات عدم التعارض بين الإسلام والعلم .
٣- التطبيق الكامل للدين في جميع شئون الحياة .
٤- العلوم الطبيعية تؤيد ماجاء به الدين .
٥- الخاتمة وتتضمن أهم نتائج البحث .

أولاً :-

التربية والقدوة الحسنة

ان أول وأهم وسيلة لتثبيت العقيدة في نفوس الناس هي التربية الصالحة والقدوة الحسنة ، وقد كان القرآن الكريم هو خير منهج للتربية الصالحة التي تنبثق عنها أقوم وأعدل حياة : (ان ا هذا القرآن يهدى للتي هي أقوم) (١)

والذى يعيش مع نصوص القرآن الكريم بوعي وادراك يرى دقة المنهج الذى اعتمده القرآن في تربية النفوس ، ومن ثم يدرك مدى النقلة الواسعة التي نقلها القرآن لجيل الصحابة رضوان الله عليهم حيث استطاع بمنهجه العجيب في تربية النفوس أن يجعل من ذلك العربي الساذج ذى القلب القاسي ، والطبع الجاف ، والجهل المطبق ، والعقل الفارغ .. انسانا رفيعا كريما : رقيق القلب ،حسن الخلق ، باحثا عن العلم والمعرفة

لقد استطاع منهج التربية القرآنية أن ينقل الناس من السفح الى القمة بما حوى من خصائص وعناصر . ولعل أبرز عناصر هذا المنهج هو :

١ - الايمان : ان الايمان بالله - سبحانه - هو الركيزة الأولى ، والدعامة الأساسية في منهج التربية القرآنية ، فهو الذى يخلص النفس من كل تصور مشوه عن الله والكون والحياة ، ويوجه القلب الى عبادة الاله الواحد ذى الاسماء الحسنى والصفات المثلى ، ويقوى شعور المؤمن بالالتجاء الى الله وحده ، فلا خوف من ظالم ولا مهابة لعدو ، ولا خضوع لبشر ولا استكانة لمخلوق .. وبهذا يطمئن القلب، وتهدأ النفس .

---

(١) سورة الاسراء آية (٩)

ويرتاح الضمير : " الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ، ألا بذكر الله تطمئن القلوب " (١)

وهناك الايمان باليوم الآخر الذى يهذب النفس ، ويقوم السلوك ، ويبعث على الخير ..

فالايمان دعوة الى الانتقال من الظلمات الى النور ، ومن عالم البهيمة الى عالم الانسانية الرفيع ، ومن حياة الضلال الى حياة الهدى والرشاد .

٢ - الخلق الحسن : يوءكد القرآن الكريم في كل مناسبة على ضرورة تمسك المسلم بالأخلاق الفاضلة ، والتحلي عن مساوىء الاخلاق .. فقد دعا القرآن في منهجه التربوى الفريد الى الخير والمعروف عامة .
قال تعالى : " ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون " (٢) . ثم فصلت آيات القرآن الخيروالمعروف فكانت الدعوة الى اللين في القول والعمل ، " فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر " (٣)
والى حب الامانة والالتزام بالعدل .
قال تعالى : " ان الله يأمركم أن توءدوا الأمانات الى أهلها ، واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل " (٤)

---

١) سورة الرعد آية (٢٨)
٢) سورة آل عمران آية (١٠٤)
٣) سورة آل عمران آية (١٥٩)
٤) سورة النساء آية (٥٨)

وأمر بكظم الغيظ والعفو عن الناس : " الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس ، والله يحب المحسنين " (١)

ودعا الى الوحدة وعدم الفرقة :

" واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا " (٢) .. كما شجع القرآن على البذل والانفاق قال تعالى : " لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون" (٣)

كما دعا الى العفو والصفح : " فاعفوا وأصفحوا حتى يأتي الله بأمره " (٤)

ثم وجه القرآن الى الصدق في القول والعمل والصبر في البأساء والضراء ، قال تعالى : " يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين " (٥) ..

" هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم " (٦) ..

" يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة ان الله مع الصابرين " (٧)

وحضت التربية القرآنية على التعاون على الخير ، قال تعالى :

---

١) سورة آل عمران آية (١٣٤)
٢) سورة آل عمران آية (١٠٣)
٣) سورة آل عمران آية (٩٢)
٤) سورة البقرة آية (١٠٩)
٥) سورة التوبة آية (١١٩)
٦) سورة المائدة آية (١١٩)
٧) سورة البقرة آية (١٥٣)

" وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان " (١)

أما في مجال الرذائل فقد نبه القرآن الكريم بمنهجه التربوى الرفيع الى طبيعة الخلق السيء ، ودعا المسلمين الى اجتناب هذه الرذائل والتخلي عنها في كل حال :

فيقول ربنا سبحانه عن الظلم : " وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون " (٢) ويقول عن النفاق ومصير المنافقين : " ان المنافقين في الدرك الأسفل من النار " (٣) ، وحرم القرآن العدوان بقوله : " ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين " (٤) ، ونهى عن الكذب : " ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين " (٥) ، وجعل غيبة المسلم لأخيه كأكل لحمه وهو ميت ، قال سبحانه : " ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه " (٦)

كما نهى عن الزنا بقوله : " ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا " (٧) ، وشدد الحملة على الاسراف والتبذير بغير حدود ، قال تعالى : " ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا " (٨) .

---

١) سورة المائدة آية (٢)
٢) سورة الشعراء آية (٢٢٧)
٣) سورة النساء آية (١٤٥)
٤) سورة البقرة آية (١٩٠)
٥) سورة آل عمران آية (٦١)
٦) سورة الحجرات آية (١٢)
٧) سورة الاسراء آية (٣٢)
٨) سورة الاسراء آية (٢٧)

ونهى عن الكبر والخيلاء : " ولا تمشي في الأرض مرحا انك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا " (١)

فالايمان والخلق الحسن هما القاعدتان الأساسيتان في منهج التربية القرآنية .

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الرتجمة الواقعية والعملية للقرآن عامة ولمنهجه في التربية خاصة ، وقد سئلت عائشة رضي الله عنها عن خلقه - صلى الله عليه وسلم - فقالت : كان خلقه القرآن ، فهو - صلى الله عليه وسلم - النموذج الحي للتربية الاسلامية ، والمفسر لهذا المنهج سواء بأخلاقه أو بتوجيهه للناس ، وقد كان الرسول عليه الصلاة والسلام متصفا بأعلى الكمالات الخلقية والنفسية والفعلية حتى يكون قدوة ومعلما للبشرية جمعاء تستجيب له وتأخذ عنه وتتعلم منه الفضائل ومكارم الأخلاق " (٢)

لقد أرسل الله عز وجل محمدا عليه الصلاة والسلام ليكون القدوة الصالحة لكل البشر في كل مكان وزمان وليكون السراج المنير الذى يضيء للبشرية طريقها على مدار التاريخ ، والهادى النذير لها على مر الأزمان والعصور .

قال تعالى : " لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر " (٣) .

---

١) سورة الاسراء آية (٣٧)

٢) انظر كتاب منهج التربية الاسلامية للشيخ محمد قطب ص ٩

٣) سورة الأحزاب آية (٢١)

وقال سبحانه : " يا أيها النبي انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا ، وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا " (١)

ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بما اتصف به من خصائص ومزايا خير قدوة وأعلى مثل ، وكيف لا وهو الذى أدبه ربه فأحسن تأديبه ، ومنحه من كرم عنايته وجميل رعايته ماجعله معروفا بين قومه بالطاهر العفيف سواء قبل النبوة أم بعدها ، فهو لم يرتكب اثما قط لا قبل البعثة ولا بعدها وكان قومه يعرفونه بالصادق الأمين وقالوا له يوما : ما جربنا عليك كذبا ، وقد كان صابرا في أحواله كلها على البأساء والضراء فأتعب نفسه لكي يوصل الدعوة الى كل انسان ، وكان - في مجال العبادة - يقوم من الليل حتى تتورم قدماه ويتعلق قلبه بالله ومناجاته ، ومحاولة الالتزام بصفاته ففي الكرم كان عليه الصلاة والسلام يعطي عطاء من لا يخشى الفاقة وكان أجود بالخير من الريح المرسلة وكان أجود مايكون في رمضان ، وكان دائما يقول : " مالي وللدنيا ما أنا والدنيا الا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها "

وأخرج الامام أحمد عن أنس رضي الله عنه أن فاطمة رضي الله عنها ناولت النبي صلى الله عليه وسلم كسرة من خبز الشعير . فقال عليه الصلاة والسلام : (هذا أول طعام أكله أبوك منذ ثلاثة أيام) ولم يكن زهد رسول الله صلى الله عليه وسلم عن فقر وقلة ، فلو أراد الدنيا لأتته صاغرة طائعة ، ولكن أراد أن يعلم المسلمين التعاون وحب البذل والايثار

---

١) سورة الأحزاب آية (٤٥ - ٤٦)

والانفاق من غير منة ، كما أراد في نفس الوقت أن يوضح للمشركين والمنافقين أنه ماقام بدعوته رغبة في مال أو جاه وانما هو أمر الله ثم الأجر والثواب من عند الله : (ياقوم لا أسألكم عليه مالا ان أجرى الا على الله) (١) .

وقد كان من طباعه صلى الله عليه وسلم الحلم مع العدو والصديق .

روى الشيخان عن أنس رضي الله عنه قال : كنت أمشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه برد نجراني غليظ الحاشية ، فأدركه اعرابي فجبذه برداءه جبذة شديدة ، فنظرت الى صفحة عاتق النبي صلى الله عليه وسلم وقد أثرت به حاشية البرد من شدة جبذته ثم قال : يامحمد مر لي من مال الله الذى عندك ، فالتفت اليه فضحك ثم أمر له بعطاء .

وأما عن تواضعه - صلى الله عليه وسلم فقد كان يبدأ أصحابه بالسلام وينصرف بكليته الى من يتحدث معه صغيرا أو كبيرا وكان آخر من يسحب يده اذا صافح واذا أقبل جلس حيث ينتهي بأصحابه المجلس ، وكان اذا ذهب الى السوق حمل بضاعته ويقول : أنا أولى بحملها ، ولم يتكبر قط على الأجير ولا الصانع ولقد اشترك في بناء المسجد النبوى وفي حفر الخندق وكان يجيب دعوة الحر والعبد والأمة ويقبل عذر المعتذر وكان يرقع ثوبه ، ويصلح نعله أو يخدم أهله ويعقل بعيره ويأكل مع الخادم ويساعد الضعيف والمحتاج ويجلس على الأرض .

أما عن شجاعته صلى الله عليه وسلم فقد تصدى عليه الصلاة والسلام لابي بن خلف في معركة أحد بحربة سددها على صدره حتى سقط عن فرسه

---

(١)

وهو يغالب الألم ويقول : (لو بصق عليّ محمد لقتلني وقد لجأ اليه الصحابة في حفر الخندق لتفتيت صخرة لم يستطيعوا كسرها ولقد كان في الجسم وفي رسوخ العزيمة قدوة لأصحابه .

كيف وقد أنزل الله عليه قوله تعالى : " وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل " (١)

ويوم حنين وقف عليه الصلاة والسلام على بغلته والناس يفرون عنه وهو يقول : انا النبي لاكذب انا ابن عبد المطلب .

وفي ليلة فزع أهل المدينة فانطلق ناس قبل صوت فتلقاهم النبي صلى الله عليه وسلم وقد سبقهم الى الصوت ، واستبرأ الخبر على فرس عرى لأبي طلحة والسيف في عنقه وهو يقول : (لن تراعوا)

أما عن حسن سياسته عليه الصلاة والسلام فقد كان مضرب المثل للكبير والصغير والمسلمين والكافرين ولقد دون التاريخ أمثلة كثيرة على حكمته وحسن سياسته سوف نتحدث عن نموذج منها .

لما أعطى النبي صلى الله عليه وسلم بعد حنين قريشا وقبائل العرب ، ولم يعط الأنصار شيئا كثر القيل والقال حتى أن بعضهم قال : لقي والله الرسول قومه ، فجمعهم النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال : (يامعشر الأنصار ماقاله بلغتني وجدة وجدتموها على أنفسكم ، ألم آتكم ضلالا فهداكم الله ، وعالة فأغناكم الله وأعداء فألف بين قلوبكم ؟ قالوا : بلى الله ورسوله آمن وأفضل ، ثم قال : ألا تجيبون يامعشر الانصار ؟

---

١) سورة الأنفال آية (٦٠)

فقالوا : بماذا نجيب ؟ لله ورسوله المن والفضل ، قال : أما والله لو شئتم لقلتم فلصدقتم وصدقتم ، أتيتنا مكذابا فصدقناك ، ومخذولا فنصرناك ، وطريدا فآويناك ، وعائلا فآسيناك ، أوجدتم يامعشر الأنصار من من الدنيا ، تألفت بها قوما ليسلموا ، ووكلتكم الى اسلامكم ؟ ألا ترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير ، وترجعوا برسول الله الى رحالكم ؟ فوالذى نفسي بيده لولا الهجرة لكنت امرءا من الأنصار ولو سلك الناس شعبا .

وسلك الانصار شعبا لسلكت شعب الأنصار ،اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار ، فبكى القوم حتى اخضلت لحاهم وقالوا : رضينا برسول الله قسما وحظا .

أما عن قدوة الثبات على المبدأ فانها من صفاته البارزة ومن خلقه الأصيلة فلقد قال لعمه أبا طالب حينما ظن أنه خاذله ومسلمه الى أعدائه ومتخل عن مناصرته : (ياعم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يسارى على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو اهلك دونه) .

هذه هي بعض صفات الرسول عليه الصلاة والسلام وأخلاقه الحميدة التي لا تعد ولا تحصى ومهما حاولنا أن نحصي فضائل النبي صلى الله عليه وسلم فلن نستطيع ويكفيه فخرا قول الله تعالى :

" وانك لعلى خلق عظيم " (١)

لقد وهب الله عز وجل النبي العظيم محمد بن عبد الله مزايا وخصائص جعلته أسوة حسنة لجميع الخلق وقد سار أصحابه على نهجه وهداه واتبعوا

---

١) صورة القلم آية (٣)

سنته واقتدوا به في حياتهم كلها وقد ذكر القرآن جانبا من صفاتهم التي أخذوها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال تعالى : " محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم " (١) ،وقال : " كانوا قليلا من الليل مايهجعون ، وبالأسحار يستغفرون " (٢)

وقال : " تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا ، سيماهم في وجوههم من أثر السجود " (٣)

وقال : " والذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة .. " (٤) .

وقال : " من المؤمنين رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه ، فمنهم من قضى نحبه ، ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا " (٥)

ويقول عبد الله بن مسعود عنه في تعداد محامدهم وفضائلهم ووجوب التأسي بهم : (من كان متأسيا فليتأس بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فانهم كانوا أبر هذه الأمة قلوبا وأعمقها علما ،وأقلها تكلفا وأقومها هديا ، وأحسنها حالا ، اختارهم الله لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم ، واقامة دينه ، فأعرفوا لهم فضلهم ، واتبعوهم في آثارهم ،

---

١) سورة الفتح آية (٢٩)
٢) سورة الذاريات آية (١٧)
٣) سورة الفتح آية (٢٩)
٤) سورة الحشر آية (٩)
٥) سورة الأحزاب آية (٣)

فانهم كانوا على الهدي المستقيم) ومازال المسلمون في كل زمان ومكان يرون من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم القدوة الصالحة في العبادة والأخلاق والشجاعة والثبات والعزم والمضاء والتعاطف والايثار والجهاد وحب الشهادة ومازال الشباب الاسلام ينهلون من معين فضائلهم وينهجون في التربية نهجهم لكونهم خير القرون عديا وأفضل العصور قدوة وأسوة " (١)

ولقد وصف سيد قطب رحمه الله صحابة الرسول عليه السلام خير وصف حيث قال : (وانتصر محمد بن عبد الله يوم صنع أصحابه - عليهم رضوان الله صورا حية من ايمانه ، تأكل الطعام وتمشي في الأسواق)

يوم صاغ من كل منهم قرآنا حيا يدب على الأرض ، يوم جعل من كل فرد نموذجا مجسما للاسلام يراه الناس فيرون الاسلام .

ان النصوص وحدها لا تمنع شيئا وان المصحف وحده لا يعمل حتى يكون رجلا وان المبادئ وحدها لا تعيش الا أن تكون سلوكا .

ومن ثم جعل محمد هدفه الأول أن يصنع رجالا لا أن يلقي موعظا ، وأن يصوغ ضمائر لا أن يدبج خطبا ، وأن يبني أمة لا أن يقم فلسفة .

أما الفكرة ذاتها فقد تكفل بها القرآن الكريم ، وكان عمل محمد صلى الله عليه وسلم أن يحول الفكرة المجردة الى رجال تلمسهم الأيدي وتراهم العيون .

---

(١) راجع كتاب تربية الاولاد في الاسلام للدكتور عبد الله علوان - الجزء الثاني ص ٦٥١

ولقد انتصر محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم يوم صاغ من فكره الاسلام شخوصا ، وحول ايمانهم بالاسلام عملا ، وطبع من المصحف عشرات من النسخ ثم مئات والوفا ، ولكنه لم يطبعها بالمداد على صحائف الورق ، انما طبعها بالنور على صحائف من القلوب ، وأطلقها تعامل الناس وتأخذ منهم وتعطي وتقول بالفعل والعمل ماهو الاسلام الذى جاء به محمد بن عبد الله) (١)

وهكذا فان منهج التربية في الاسلام ، والقدوة الحسنة المتمثلة في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم وسيرة اصحابه الكرام هما وسيلة من وسائل تثبيت العقيدة في النفوس لأن العقيدة اذا لم تترجم الى وقائع وسلوك فانها تبقى باهتة لا روح فيها ، ميتة لا حياة فيها ،جامدة لا حراك فيها .

---

١) دراسات اسلامية للشهيد سيد قطب ص ٢٦

ثانياً :-

إثبات عدم التعارض بين الإسلام والعلم

لقد حاول أعداء الاسلام تشكيك المسلمين في دينهم بشتى الوسائل والأساليب وقد كان أحد هذه الأساليب ؛

ادعاء قيام تعارض بين العلم من جهة ، وبين هذا الدين من جهة أخرى ، وانه اما الأخذ بالعلم والاستفادة من معطياته ، واما الالتزام بالدين الذى يؤدى بدون العلم الى استمرار حياة الجهل والظلام والضلال .

ومن المزاعم الباطلة أن الايمان يسبب للانسان القلق الذهني لأنه لا يقوم على التجارب الحسية والأدلة العقلية وأنه يقيد من حرية الانسان وفقا لنظرية (الحلال والحرام) التي لا يخلو منها دين .. (١)

ان هذه الافتراءات والأكاذيب التي تدعي بأن العلم والايمان لا يجتمعان انما تصدق على واقع الدين في أوربا حيث عطلت الكنيسة العقل ، وحاربت العلم ، ورفضت الحقائق العلمية واكتفت بما قدمه أرسطو لها .

لقد كان العالم الفلكي الألماني (كيوشنو) في القرن السابع عشر على نزاع مع الكنيسة حينما طلب منهم النظر بواسطة التلسكوب .

الى البقع الشمسية فرفضت قوله بحجة أن مؤلفات أرسطو لم تتضمن ذكر للبقع الشمسية . (٢)

(لقد فرض رجال الدين المسيحي حاجزا بين عقل الانسان والعالم الخارجي المحيط به فلم يعد مسموحا لهذا العقل أن يرى الا مايرونه

---

١) راجع الايمان والحياة للدكتور يوسف القرضاوى ص ٣١٣

٢) آراء يهدمها الاسلام - شوقي خليل ص ١٠٣

ومن تمرد على هذا العلم ورأى غيره تعرض لأقسى أنواع التعذيب ولقد لقي بعض رؤساء الجامعات مصيرهم حرقا وهم أحياء ، ولعلنا نعرف مالاقاه كوبرنيكس حين قال تلك الحقيقة التي صارت معروفة تماما وهي : (أن الشمس مركز النظام الشمسي) ومالاقاه جاليلو بعده حين قال : ان الارض تدور حول الشمس ، وقصة محاكم التفتيش معروفة في أوربا فقد أباحت دم كل من رأت الكنيسة اباحة دمه وكان نصيب العلماء والفلاسفة من هذه المحاكم النصيب الأكبر ويقدر أن من عوقب يبلغ عددهم ثلاثمائة ألف أحرق منهم اثنان وثلاثون الفا أحياء منهم العالم الطبيعي المعروف (برونو) (١)

هكذا كان حال أوربا في العصور الوسطى أما الاسلام فقد دعا الى العلم وحض عليه وأشاد بالعالم والمتعلم ، ولا أدل على ذلك من أن أول سورة من سور القرآن التي أنزلت أمرت بالعلم حيث قال جل وعلا :

" اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم ، الذى علم بالقلم ، علم الانسان مالم يعلم " (٢)

وقد حض الاسلام على طلب العلم : قال تعالى : " وقل رب زدني علما " (٣)

وقال صلى الله عليه وسلم : (طلب العلم فريضة على كل مسلم) (٤)

---

١) الاسلام والكون للدكتور عبد الغني عبود ص ٦٨ - ٧٠

٢) سورة العلق آية (١ - ٥)

٣) سورة طه آية (١١٤)

٤) خصائص الاسلام أبو الوفا درويش ص ٩١

وقد كان لتشجيع القرآن على العلم خير باعث للمسلمين على سبق الأمم في الحضارة والرقي فآيات القرآن في مجال العلم عديدة وكثيرة وكلها تهيب بالمسلمين أن ينهلوا من زاد العلم والمعرفة ، وتدعوهم الى التفكر في خلق السموات والأرض كي ينهضوا بالخلافة التي وكلهم الله بها على أكمل وجه ، يقول الله تبارك وتعالى : " هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون " (١)

(وزاده بسطة في العلم والجسم) (٢) (ويعلمهم الكتاب والحكمة) (٣) ، (وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم) (٤)

(شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط) (٥) .

(بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم .) (٦)

(يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتو العلم درجات) (٧)

(ان في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب) (٨) ..

---

١) سورة الزمر آية (٩)

٢) سورة البقرة آية (٢٤٧)

٣) سورة البقرة آية (١٢٩)

٤) سورة آل عمران آية (٧)

٥) سورة آل عمران آية (١٨)

٦) سورة العنكبوت آية (٤٩)

٧) سورة المجادلة آية (١١)

٨) سورة آل عمران آية (١٩٠)

وقد زعم بعض المكذبين أن العلم الذى دعا اليه القرآن وحث عليه هو العلم الديني فقط وهذا ليس صحيحا لأن في بعض من آيات القرآن الكريم من القرائن اللفظية والمعنوية مايدل على أن المواد بالعلم علوم الكون .

قال تعالى : " ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد " بيض " " وحمر " مختلف " ألوانها وغرابيب سود ، ومن الناس والدواب والأنعام مختلف الوانه كذلك انما يخشى الله من عباده العلماء " (١)

" ان الدين كان ولم يزل وسيظل ملتقى العقول السليمة والفطر القويمة ما أخطأ منهجه فكر ثاقب ولا ضل صراطه طبع نظيف .

وأن العلم مهما اتسعت آماده وامتدت أبعاده وترادفت كشوفه فلن يجيء الا بما يصدق الوحي ويدعم الايمان ويمكن لهداية الرحمن ، ويزيد الأتقياء بصرا بجلال الله وقياما ، بحقه وثقة بلقائه الموعود " (٢)

(وهيهات هيهات أن يفد العلم بقيضية تنقض الاعتقاد في وحدانية الله ووجوب طاعته وضرورة الاعداد للقائه .

ان الاسلام دين يبنى كيانه المادى والأدبي على التعمق في العلم

---

١) سورة فاطر آية (٢٧ - ٢٨)

راجع كتاب لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم ، تأليف الأمير شكيب أرسلان مراجعة الشيخ حسن تميم ص ١٣٣ .

٢) مع الله للشيخ محمد الغزالي ص ٢٢٧

والتزود من الثقافة وعلى دوام الصلة بعمل القدرة العليا في مجال العالم الرحب) (١) .

ولقد قامت في ظل الاسلام حضارة زاهرة جمعت بين العلم والايمان وبين الدين والدنيا وكان للعلم في هذه الحضارة مكان بارز وسلطان مبين لم تعرف ماعرفته الحضارات الأخرى من النزاع بين العلم والدين بل كان كثير من فقهاء الدين علماء بارزين في علوم الكون والحياة . كما كان كثير من أساطين الطب والفيزياء والرياضيات وغيرها من أكابر علماء الدين ، وهل كان ابن رشد وابن خلدون الا فقيهين وقاضيين من قضاة الشريعة الاسلامية . ؟

لقد كان من ثمار هذا العلم كشوف ونظريات وكتب ومؤلفات ومدارس ومكتبات ومراصد ومختبرات ومستشفيات أو غير ذلك مما تحدث عنه (دزايبر) في كتابه عن (النزاع بين العلم والدين) و (بريفولت) في (بناء الانسانية) وغيرهم ممن أثبتوا بالأدلة التاريخية اكتشاف المسلمين للمنهج العلمي التجريبي قبل أن تعرفه أوربا بقرون . وان علماء المسلمين لهم فضل السبق بذلك قبل بيكون وغيره .) (٢)

ثم لا ننسى علماء المسلمين الذين كان لهم الفضل على البشرية امثال ابن سيناء وابن الهيثم وابو الريحان البيروني وجابر بن حيان وغيرهم كثيرون .

---

١) مع الله للشيخ محمد الغزالي ص ٢٢٩

٢) شريعة الاسلام ليوسف قرضاوى ص ٦٣

ثالثاً

التطبيق الكامل للدين في جميع شئون الحياة

ان الدين الاسلامي لا يمكن أخذه أجزاء وأقسام نطبق بعضها ونترك البعض الآخر ، ولقد كان التطبيق الجزئي لهذا الدين والعمل بقسم منه وترك الباقي مهملا دون تطبيق سببا مباشرا من أسباب زعزعة العقيدة في نفوس الشباب المعاصر لأنه ترك في أذهان هؤلاء الشباب صورة مشوهة عن الاسلام وجعلهم يشكون في صلاحية هذا الدين لمسايرة أوضاع هذا العصر والعصور التي تليه .

ولما كانت شريعة الاسلام هي خاتمة الشرائع بدليل قوله تعالى : " ماكان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين " (١) ، فقد جعلها الله - سبحانه - صالحة لكل زمان ومكان ، وهي عامة للناس أينما كانوا وحيثما وجدوا : " قل يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعا " (٢) ، وهي الشريعة الوحيدة التي يمكن أن تفي بحاجات البشر في كل المجتمعات ، وأن تعالج جميع المشاكل بأعدل الحلول وأمثل الأحكام . لأنها ليست من وضع البشر وانما هي من صنع الله خالق الكون وخالق الانسان ، وعالم بما ينفع هذا الانسان وما يضره . " ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير " (٣)

وهي مبرأة من جهل الانسان وقصوره وضعفه وهواه : " وخلق الانسان ضعيفا " (٤)

---

١) سورة الأحزاب آية (٤٠)

٢) سورة الأعراف آية (١٥٨)

٣) سورة الملك آية (١٤)

٤) سورة النساء آية (٢٨)

وليست خاصة لقوم دون قوم ولا لطبقة دون طبقة .. ولنما هي للناس كافة ، " يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعا " (١) .

فأحكام هذه الشريعة صالحة لكل الناس في كل البلدان على مر الأزمان حتى يرث الله الأرض ومن عليها ، فلا فرق في تطبيقها بين غني وفقير ، ولا بين أبيض وأسود ، ولا بين عربي وأعجمي ، " يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم " (٢)

وان أحد الأهداف الأساسية للشريعة الاسلامية اقامة العدل المطلق على ظهر هذه الأرض بين الناس جميعا ، وتحقيق الاخاء بينهم ، وصيانة دماءهم وأموالهم وأعراضهم وعقولهم ، اضافة الى حفظ دينهم وأخلاقهم .

ولهذا كان ولا شيء فيه - ان تطبيق الشريعة يؤدى الى تحقيق مصالح العباد في الدنيا والآخرة ، لأنها ذات حكم وسط بين تجبر الفرد وحريته المطلقة في أن يفعل مايشاء دون رقابة أو حساب ، كما هو حاصل في البلاد الغربية .. وبين انعدام حرية التصرف والرأى ، وذوبان شخصية الفرد بصورة لا يبقى له معها كيانا .

---

١) سورة الأعراف آية (١٥٨)
٢) سورة الحجرات آية (١٣)

ان الشريعة الاسلامية تهيب بالمسلمين في كافة أرجاء الأرض أن يطبقوها في كافة مجالات حياتهم ، وأن يتجنبوا تجزئتها وتقسيمها وأخذ بعضها وترك البعض الآخر ، يقول الله تعالى : " أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزى في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون الى أشد العذاب " (١)

ولقد كان من نتائج عدم الأخذ بأحكام الاسلام كلها زعزعة العقيدة في نفوس الناشئة التي شعرت بالتمزق والقلق والضياع وطرح علامات الاستفهام عن طبيعة هذا الدين الذى رأوا بعضه على واقع الناس كالصلاة والصيام ثم شاهدوا ماينا قضه في حياة هؤلاء الناس كالغش ، والكذب وأكل المال بوسائل غير مشروعة ،والانغماس في شهوات الدنيا ورذائلها وكأنهم نسوا قول نبينا محمد صلى الله عليه وسلم :

(من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فلا صلاة له)

ومن تعود الصورة الوضيئة للاسلام في أذهان الناس ، وبخاصة الشباب منهم الا بالرجوع الى التطبيق الكامل للدين في جميع شؤون الحياة الاجتماعية منها والسياسية والاقتصادية .

لقد رأينا المسلمين الأوائل حينما تمسكوا بعقيدتهم وطبقوا

---

١) سورة البقرة آية (٨٥)

٢) راجع شريعة الاسلام للدكتور يوسف قرضاوى

شريعتهم تطبيقا كاملا ، نشروا الاسلام الى كافة بقـاع الأرض ، وفتحوا نصف بلاد العالم في نصف قرن ، وأصبح المجتمع المسلـم مجتمع مثالي يقوم على العلم والعمل والعدل والصدق والأمن والاطمئنان والنصح والارشاد ولن يعود للمسلمين ماضيهم العظيم وتاريخهم المشـرف وعزتهم وكرامتهم الا بالتطبيق الكامل للدين في جميع شئون حياتهم .

رابعًا :-

العلوم الطبيعية تؤيد ما جاء به الدين

اذا كانت معجزة القرآن اللغوية والبلاغية قد تحدى بها الله الانس والجن وخاصة العرب وهم أهل الفصاحة والبلاغة - فان معجزة القـــرآن العلمية وما تضمنته من نظريات وقوانين كونية .. تتحدى العرب والعجـــم قديما وحديثا وعلى مر العصور والأزمان .. فقد تحدث القرآن عن علـــوم لم تكتشف الا في العصر الحديث فجاءت هذه الاكتشافات موءيدة لمـــا جاء به الدين الاسلامي ، ودليلا قاطعا على أن القرآن هو كلام الله سبحانه الدال على وجوده تعالى ووحدانيته المطلقة .

وسوف نعدد فيما يلي بعض هذه النظريات العلمية التي أقرهـــا العلم الحديث والتي سبق القرآن العلم في بيانها وتفصيلها لنثبت للناس كافة أن العلم والايمان لا تعارض بينهما ولا تناقض ، وأن العلم السليم هـــو أحد دعامات الايمان ،وهو موءيد لحقائق هذا الدين ونصوصه .

١ - وحدة الكون :

لقد أثبتت الأبحاث والنظريات العلمية الحديثة أن الأرض كانت جزءا من المجموعة الشمسية ثم انفصلت عنها وتبردت وأصبحت صالحة للسكن .

وهذه النظرية توءيد ماجاء به القرآن :

قال تعالى : " أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتـــا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يوءمنون " (١)

---

١) سورة الأنبياء آية (٣٠)

٢ - الماء والحياة :

الماء - كما أثبتت القوانين العلمية - هو العنصر الأساسي لاستمرار الحياة لجميع الكائنات والمخلوقات الحية . فمعظم العمليات الكيماوية تحتاج الى الماء ، ولذا فالماء هو أصل كل حياة ، وهذا يؤيد الحقيقة التي جاء بها القرآن الكريم قبل أربعة عشر قرنا من الزمان . (١)

" وجعلنا من الماء كل شيء حي " (٢)

٣ - نشأة الكون :

يقول العالم الفلكي جينز جنز : (ان مادة الكون بدأت غازا منتشرا خلال الفضاء بانتظام ، وان السدائم (المجموعات الفلكية) خلقت من تكاثف هذا الغاز) .

ويقول الدكتور (جامو) : ان الكون في بدأ نشأته كان مملوءا بغاز موزع توزيعا منتظما ومنه حدثت عمليات .

وهذا يؤيد ماجاء به القرآن ، قال تعالى : (ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها ، قالتا أتينا طائعين) (٣)

---

١) سورة الأنبياء آية (٣٠)

٢) روح الدين الاسلامي لعبد الفتاح طباره ص (٤٩)

٣) سورة فصلت آية (١١)

٤ - تقسيم الذرة :

ظل الاعتقاد السائد حتى القرن التاسع عشر أن الذرة هي أصغر جزء يمكن أن يوجد في عنصر من العناصر ، وأنها غير قابلة للتجزئية ولكن العلماء في العصر الحديث استطاعوا تجزئة الذرة الى دقائق هي :

١) البروتون .

٢) النيترون .

٣) الالكترون .

وقد سبق القرآن الى ذلك قبل أربعة عشر قرنا حيث قال سبحانه :

" وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر الا في كتاب مبين " (١)

٥ - الزوجية في كل شيء :

يقول الباحثون في الكون : ان ناموس الازدواج يجرى في كل شيء فالجمادات تتنوع الى نوعين ، سالب وموجب ، والنباتات والحيوانات تتنوع الى نوعين ذكر وأنثى وهذا يوئيد ماجاء به القرآن :

قال عز وجل :

" ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون " (٢)

---

١) سورة يونس آية (٦١)

٢) سورة الذاريات آية (٤٩)

٦ - التلقيح بواسطة الرياح :

يقول علماء النبات : ان الرياح وسيلة من وسائل التلقيح وهذا يؤيد ماجاء به القرآن الكريم :

قال تعالى : " وأرسلنا الرياح لواقح " (١)

٧ - الحيوان المنوى للانسان يشبه العلق :

أثبت الطب أن مني الانسان هو سائل يحوى حيوانات صغيرة لاترى بالعين المجردة ، وترى بالمكرسكوب ، وكل حيوان منها له رأس ورقبة وذيل يشبه دودة العلق في شكلها ورسمه والقرآن قد سبق الطب في ذلك ، قال تعالى :

" اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق " (٢)

٨ - نقص الأوكسجين :

منذ اكتشاف الطيران ظهر للعلماء ظاهرة طبيعية وهي نقص الأوكسجين في طبقات الجو العليا وكلما حلق الانسان في القضاء أدركته هذه الظاهرة وشعر بضيق الصدر وصعوبة التنفس وهذه الظاهرة تحدث عنها القرآن .

" فمن يرد الله أن يهده يشرح صدره للاسلام ، ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء " (٣)

---

١) سورة الحجر آية (٢٢)

٢) سورة العلق آية (١ - ٢)

٣) سورة الأنعام آية (١٢٥)

٩ - اختلاف بصمات الانسان :

يقول علماء البصمات : ان الأصابع هي أدق أعضاء الانسان ولا يمكن التماثل فيها بين شخصين ، ومن أجل هذه الدقة رد الله على منكرى البعث فقال : " بلى قادرين على أن نسوى بنانه " (١)

وهذا يدل دلالة قاطعة على أن القرآن كلام الله وليس كلام الرسول عليه السلام .

١٠ - أغشية الجنين :

ثبت علميا أن الجنين في بطن أمه محاط بثلاثة أغشية وهذه الأغشية لا تظهر الا بالتشريح الدقيق ، وقد جاء القرآن بهذه الحقيقة العلمية قبل اكتشافها بأربعة عشر قرنا ، قال تعالى : " يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلاث ، ذلكم الله ربكم له الملك لا اله الا هو فأنى تصرفون . " (٢)

فمعنى هذه الآية معجزة علمية واضحة للقرآن . (٣) .

١١ - اهتزاز الأرض بسبب المطر :

دلت البحوث في الأرض أن لها مساما يتخللها الهواء ، أن نزول الماء على الأرض يدفع الهواء ويحل محله ، وعند امتلاء مسام الأرض بالماء

---

١) سورة القيامة آية (٤)

٢) سورة الزمر آية (٦)

٣) التبيان في علوم القرآن للشيخ محمد علي الصابوني ص ١٣١ - ١٣٦

تتحرك جزئيات الطين بقوة دفع الماء في المسام ، وعلوم الكيمياء أثبتت أن الطين يتمدد بالماء وينكمش بالجفاف فالأرض عندما ينزل عليها الماء تتحرك وتزداد في الحجم وهذه حقيقة علمية يؤيد بها العلم القرآن . (١)

قال تعالى :

" وترى الأرض هامدة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج " (٢)

وفي نهاية هذا الفصل لابد أن نشير الى أقوال بعض العلماء التي تثبت أن لهذا الكون اله قادر مدبر هو الذى خلقه وأنشأه .

يقول ابراهام لنكولن : " اني أعجب لمن يتطلع الى السماء ويشاهد عظمة الخلق ثم لا يؤمن بالله ".

ويقول الفلكي الكبير جيمس جينز : (لايمكن أن تكون المصادفة هي التي أوجدت نظام هذا الكون)...

ويقول الباحث ادنجتون : (أن من وراء هذا الكون عقلا مدبرا حكيما هو الله)

الى غير ذلك من الأقوال التي نطق بها كبار العلماء والباحثين في علوم الكون والحياة ، والتي تؤكد كلها على أن عقيدة هذا الدين هي عقيدة الحق بكل مافيها من خصائص ومقومات ، وأن العلم يدعو للايمان ،

---

١) روح الدين الاسلامي عفيف عبد الفتاح طبارة ص ٥٧

٢) سورة الحج آية (٥)

ولا تنافر بينهما أو تناقض ، يقول الشيخ عبد الرحمن حبنكه الميداني :

(ان البحث العلمي المتجرد عن الهوى والتعصب المذموم والعناد لابد أن يصل الباحث الى الايمان بالله تعالى وصفاته الجليلة ، والى كل مبدأ قرره الاسلام وعلمنا به بطريق قاطع " (١) ..

ويقول الاستاذ عبد الرزاق نوفل في كتابه : " الله والعلم الحديث " (جاءت الأديان تبشر بالله الأزلي الواحد ، وتقدمت العلوم فسار العلم والدين جنبا الى جنب يؤكدان الايمان باله واحد خلق الانسان والأكوان بتدبير وقصد ، وانتفت شبهة المصادفة التي كان يتشدق بها بعض الملاحدة حتى أصبح هذا العصر عصر الايمان بحق .

فقد أثبتت العلوم الحديثة أن هذا الكون خلق بحكمة وتدبير ، وأن القصد من خلقه أصبح واضحا جليا ، وفي كل يوم بل في كل لحظة تظهر الأدلة تلو الأدلة على مافي نظام الكون من تقدير دقيق .

وقد تواتر ايمان العلماء وتتابعت الحكم التي ضمنوها بعض كتبهم بما اكتشفوه بل لقد اعترف الملحدون منهم بما في خلق الأكوان من نظام موزون وتقدير مقصود " (٢)

ويقول الاستاذ سيد قطب رحمه الله تعليقا على قوله تعالى :

" ومن آياته خلق السماوات والأرض ، ومابث فيهما من دابة ، وهو على جمعهم اذا يشاء قدير "

---

١) العقيدة الاسلامية وأسسها ص ٩٥ الطبعة الاولى ١٣٨٥ هـ

٢) " الله والعلم الحديث " ص ١٥

(وهذه الآية الكريمة الكونية معروضة على الانظار قائمة تشهد بذاتها على ما جاء الوحي ليشهد به ، فارتابوا فيه واختلفوا في تأويله ، وآية السماوات والأرض ولا تحتمل جدلا ولا ريبة ، فهي قاطعة في دلالتها ، تخاطب الفطرة بلغتها ، وما يجادل فيها مجادل " وهو جاد انها تشهد بأن الذى أنشأها ودبرها ليس هو الانسان ، ولا غيره من خلق الله ، ولا مفر من الاعتراف بمنشيء مدبر .

فان ضخامتها الهائلة وتناسقها الدقيق ، ونظامها الدائب ، ووحدة نواميسها الثابتة .. كل أولئك لا يمكن تفسيره عقلا الا على أساس أن هناك الها أنشأها ويدبرها ") (١)

---

١) في ظلال القرآن ج ٢٥ ص ٢٨٨

الخاتمة

الخاتمــــة

في نهاية هذا البحث عن العقيدة الاسلامية وأثرها في حياة الفرد والمجتمع يمكن استخلاص نتائج عديدة أهمها :

أولا : لقد سلمت العقيدة الاسلامية من كل الهزات والأرجات التـــي انتابت المذاهب والمعتقدات والفلسفات الأرضية ، والتـــي حاولت أن تكوّن لنفسها تصورات محددة عن هذا الكون وخالقه، وعن الحياة ونشأتها وغايتها ، وعن الانسان وطبيعة علاقتـــه مع ذلك الكون .. فكانت النتيجة هي التخبط والاضطراب فـــي عالم الأوهام والشكوك والخرافات ..

(ان التصور الاسلامي - وحده - هنو الذى يملـك أن يقدم لنا تفسيرا نواجه به كل علامة استفهام عن وجود هذا الكون ابتداء ، وعن كل انبثاقة تقع فيه ، كما أنه هو الذى يملك أن يفسر لنا سر انبثاق الحياة في المادة الميتة ، وسر سيرتهـــا هذه السيرة العجيبة دون أن نضطر الى الهروب من ســـؤال واحد ، أو الى المماحكة والمماطلة والاحالة الى جهات غيـر محددة المفهوم كالاحالة الى الطبيعة) (١)

---

١) خصائص التصور الاسلامي ص ١١٣

ثانيا : ان الحياة في ظلال العقيدة الاسلامية تنير العقل البشرى وتوجهه الى التفكير السوى والمنطق السليم ، وتحميه من عوامل التشتت والاضطراب ، وتدفع عنه هواجس القلق والضياع ، وذلك لما تتميز به هذه العقيدة من خصائص الشمول والثبات والتوازن والايجابية والواقعية ..

ثالثا : ان خاصية " الربانية " وهي أولى خصائص العقيدة الاسلامية ، والتي منها تنبثق بقية الخصائص تزيل كل نقص ، وكل جهل ، وكل هوى يمكن أن يطرأ على بقية العقائد والمذاهب والفلسفات البشرية ، لأن الانسان لا يخلو بطبيعته من نقص أو جهل أو هوى .

وعلى هذا فالعقيدة الاسلامية مبرأة من تلك العيوب لأنها من عند الله سبحانه ، ومن ثم فهي العقيدة الوحيدة التي يمكن أن ينبثق منها ويقوم عليها أقوم منهج للحياة وأشمله ، ثم انها هي العقيدة الوحيدة التي احتفظت بأصلها الرباني .

(فالتصورات الاعتقادية السماوية التي جاءت - قبل الاسلام - قد دخلها التحريف في صورة من الصور ، وقد أضيفت الى أصول الكتب المنزلة شروح وتصورات ، وتأويلات وزيادات ومعلومات بشرية أدمجت في صلبها ، فدلت طبيعتها الربانية ، وبقي الاسلام وحده محفوظ الأصول ، لم يشب نبعه الأصيل كدر ، ولم يلبس فيه الحق بالباطل ، وصدق وعد الله في شأنه :

" انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون " (١) ،وهذه هي الحقيقة المسلمة التي تجعل لهذا التصور قيمته الفريدة) (٢) .

رابعا : ان العقيدة الاسلامية عندما تتمثل في فرد تحرره من العبودية لغير الله والخضوع لسواه ، وتمنحه الثقة والطمأنينة ، وتجعله نظيف القلب والفكر والشعور والعمل ، وتبعث فيه روح الشجاعة والاقدام ، ورغبة الشهادة في سبيل الله ..

واذا تمثلت هذه العقيدة في مجتمع ما دخل هذا المجتمع في عالم كله سلم وكله سلام : " يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين " (٣) .

خامسا : لما كانت العقيدة الاسلامية هي القاعدة التي ترتكز عليها حياة الأمة المسلمة ، وهي الا التي يتجمع عليها ملايين الناس ، وهي شاطيء الأمان الذى ترتد اليه النفس المسلمة كلما حاولت الشرود والابتعاد .. فقد بذل أعداء الاسلام كل جهدهم للتشكيل في سلامة هذه العقيدة ، وأطلقوا الدعاوى الآثمة بقصد هدمها ، وضمان انحسارها من نفوس أصحابها ..

---

١) سورة الحجر آية (٩)

٢) خصائص التصور الاسلامي ص ٥١

٣) سورة البقرة آية (٢٠٨)

سادسا : انه ازاء محاولات المستشرقين وأعداء الاسلام في هدم العقيدة الاسلامية ، والتشكيك في صحتها ، وزعزعة مكانتها في نفوس أصحابها .. كان لابد من ايجاد الوسائل الملائمة التي تعين الناشئة المسلمة على تثبيت عقيدة الاسلام في نفسه ، والرد على الشبهات التي يحاول أعداء الاسلام اثارتها بين حين وآخر ..

سابعا : وأخيرا .. ان التمسك بالعقيدة الاسلامية وتطبيق مقتضياتها أمر لابد منه اذا أراد المسلمون استرداد عزتهم وكرامتهم ، واذا أرادت البشرية كلها حياة الاستقرار والسلامة والاطمئنان ..

ان الماضي القريب منه والبعيد شهد - بوقائعه وأحداثه - على أن التزام المسلمين بأمر عقيدتهم ودينهم منحهم القوة والعزة والنصر ، وفرض وجودهم على المجتمع البشرى بعد أن كانوا هملا لا يعرفهم أحد ، ولا يعترف بهم أحد .. وهم اليوم وغدا لا يملكون الا هذه العقيدة ، فان أحسنوا اعتناقها والتمسك بها وأخذوا بمقتضياتها عاد لهم وجودهم الضائع ، وعزهم الداثر ، وأيدهم الله بنصره المبين وفتحه العظيم : " ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم " (١) .. ورد الله عنهم كيد عدوهم ، فكانت لهم الكلمة العليا في الدنيا ، والفردوس الأعلى في الآخرة ، وصدق الله العظيم اذ يقول :

---

١) سورة محمد آية (٧)

" وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا " (١)

---

١) سورة النور آية (٥٥)

فهرس المصادر والمراجع

قائمــة المراجــع :

١ - القرآن الكريم .

٢ - أبو الأعلى المودودى : الحجاب ، موسسة الرسالة ، بيروت

٣ - ابن منظور : لسان العرب ، للعلامة الامام ابن منظور دار الفكر " بيروت " ج ٣ .

٤ - ابن تيميه : رسالة الحسنة والسيئة .

٥ - أبو بكر الجزائرى : منهاج المسلم .

٦ - الشافعي : الأسئلة والأجوبة الأصولية .

٧ - ابو الحسن الندوى : ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين .

٨ - الامام أحمد بن حنبل : مسند الامام احمد بن حنبل

٩ - السندى : صحيح البخارى ، بحاشية السندى

١٠ - النووى : صحيح مسلم بشرح النووى

١١ - ابن القيم : مدارج السالكين .

١٢ - أنور الجندى : مشكلات الفكر المعاصر في ضوء الاسلام .

١٣ - ابي حامد الغزالي : معراج السالكين .

١٤ - أبو الوفاء درويش : خصائص الاسلام .

١٥ - الأمير شكيب ارسلان : لماذا خسر المسلمون وتقدم غيرهم ، منشورات مكتبة الحياة : بيروت ، ١٩٧٥م .

١٦ - اميل درمنغام : حياة محمد

١٧ - بطرس البستاني : محيط المحيط ، قاموس مطول للغة العربية مكتبة لبنان .

١٨ - بشير العوف : اشتراكيتهم واسلامنا ط ١

١٩ - جمال الدين الأفغاني : رسالة الرد على الدهريين .

٢٠ - حسن زينه : التطور والانسان .

٢١ - سيد قطب : في ظلال القرآن ، ط / ٧

٢٢ - سيد سابق : العقائد الاسلامية .

٢٣ - سيد قطب : خصائص التصور الاسلامي ومقوماته .

٢٤ - سيد قطب : دراسات أسلامية .

٢٥ - سعد الدين التافزتاني : شرح العقائد النسفية .

٢٦ - شوقي خليل : آراء يهدمها الاسلام .

٢٧ - د . صلاح الدين المنجد : التضليل الاشتراكي ط ٣ دار الكتب بيروت .

٢٨ - د . عبد الله علوان : تربية الأولاد في الاسلام ، دار السلام للطباعة والنشر .

٢٩ - عبد الغني عبود : الاسلام والكون

٣٠ - عباس محمود العقاد : حقائق الاسلام وأباطيل خصومه .

٣١ - عبد الرحمن حبنكه الميداني : أجنحة المكر الثلاثة .

٣٢ - عباس محمود العقاد : عقائد المفكرين في القرن العشرين .

٣٣ - عباس محمود العقاد : الشيوعية والانسانية في شريعة الاسلام .

٣٤ - عباس محمود العقاد : الدين افيون الشعوب .

٣٥ - عفيف عبد الفتاح طباره : روح الدين الاسلامي .

٣٦ - عبد الرحمن عزام : بطل الأبطال .

٣٧ - عبد الرحمن حبنكة الميداني : العقيدة الاسلامية وأسسها .
٣٨ - عبد الرزاق نوفل : الله والعلم الحديث .
٣٩ - محمد فؤاد عبد الباقي : ابن ماجه ، تحقيق وتعليق .
٤٠ - محمد أسـد : الاسلام على مفترق الطرق ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط / ٨ ، ١٩٧٤م .
٤١ - محمد المبـارك : نظام الاسلام .
٤٢ - محمد القاسمي : الاسلام كما فهمت .
٤٣ - محمد الغزالـي : مع الله
٤٤ - محمد بهنس : الاسلام بين المسارية والروحية
٤٥ - محمد قطـب : منهج التربية الاسلامية .
٤٦ - محمد قطب : شبهات حول الاسلام .
٤٧ - محمد فريد وجدى : دائرة المعارف .
٤٨ - محمد رشيد رضا : الوحي المحمدى
٤٩ - محمد عبده : رسالة التوحيد ط ١٠
٥٠ - محمد علي الصابوني : التبيان في علوم القرآن .
٥١ - محمد هيكل هيكل : حياة محمد
٥٢ - د . يوسف قرضاوى : الايمان والحياة .
٥٣ - د . يوسف قرضاوى : شريعة الاسلام .
٥٤ - يوسف كرم : تاريخ الفلسفة الحديثة .
٥٥ - ابن تيميـه : مجموعة الرسائل والمسائل .
٥٦ - ابن القيـم : شفاء العليل تحقيق الحسانى عبد الله
٥٧ - الشهرستانـي : الملل والنحل - تحقيق محمد كيلانى .
٥٨ - عبد الرحمن الجطيلى : الاجوبه المفيده على اسئلة العقيدة .

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعـــــات

الموضـــــوع	الصفحـــة

الموضـــوع	الصفحـــة

الموضـــــــوع			الصفحـــــة
		٥ ـ رحلة الشتاء والصيف لتجار قريش	١٢٣
		٦ ـ وجود خدم وعبيد من اليهود والنصارى	١٢٣
		٧ ـ تصوير مجامع قريش بمكة	١٢٤
		٨ ـ موت أبناء الرسول عليه السلام	١٢٤
		٩ ـ زعمو أن تغلغل النصرانية	١٢٥
ثانيا	:	الدين أفيون الشعوب	١٢٧
ثالثا	:	نظرية النشور والارتقاء	١٣٥ - ١٤٦
		انحراف اليهود الى المادة	١٤٨
		مادية اليهود والروحية المسيحية	١٤٩
		الاسلام يجمع بين المادة والروحية	١٥٠
الفصل الخامس :			١٥٤ - ١٩٣
		وسائل تثبيت العقيدة	١٥٤
أولا	:	التربية والقدوة الحسنة	١٥٥
ثانيا	:	اثبات عدم التعارض بين الاسلام والعلم	١٦٨
ثالثا	:	التطبيق الكامل للدين في جميع شئون الحياة	١٧٤
رابعا	:	العلوم الطبيعية تؤيد ما جاء به الدين	١٧٩
	١ ـ	وحدة الكون	١٨٠
	٢ ـ	الماء والحياة	١٨١
	٣ ـ	نشأة الكون	١٨١